الإنسان بين شريعتين

رُؤيَةٌ قُرآنيَّةٌ في مَعرِفَةِ الذَّاتِ ومَعرِفَةِ الآخَرِ

تأليف

أ. د عَبْدالحَمِيد أحمَد أبُوسُلَيْمَان

دار السلام

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

وموضع الإسلام والأمة منها ، بقدر من الوضوح والتألق والسمو لم يكن يخطر قبل ذلك بالبال ، وبنفس القدر مكنتني هذه الرؤية القرآنية من معرفة الآخر الغربي وطبيعته ومنطلقاته ووجوه الاتفاق والاختلاف معه ، وفَّرت المفتاح المفاهيمي لكثير مما استغلق قبل ذلك في فهمه وسبل التعامل معه .

لذلك لم أملك إلا أن ألتقط القلم لتسطير هذه التأملات ووضعها أمام القارئ الكريم وأمام مفكري الأمة ، لمزيد من التأمل والتعمق في فهم منطلقات الرؤية القرآنية الكونية في هذا المجال الإستراتيجي المهم ، حتى يمكن أن توضع الأمة مجددًا على الجادة ، وحتى يمكن تنقية الثقافة الإسلامية وتفجير طاقتها الحضارية الإصلاحية ، وحتى يمكنها مواجهة تحديات العصر ، وإصلاح مسيرة الإنسانية باتجاه نور الحق والعدل والسلام ، بقوة واقتدار .

دون وضوح الرؤية ، ودون فهم الذات ، ودون تنقية الثقافة ، ودون التوقف عن التقليد والمحاكاة العمياء ، ودون

وموضع الإسلام والأمة منها ، بقدر من الوضوح والتألق والسمو لم يكن يخطر قبل ذلك بالبال ، وبنفس القدر مكنتني هذه الرؤية القرآنية من معرفة الآخر الغربي وطبيعته ومنطلقاته ووجوه الاتفاق والاختلاف معه ، وفَّرت المفتاح المفاهيمي لكثير مما استغلق قبل ذلك في فهمه وسبل التعامل معه .

لذلك لم أملك إلا أن ألتقط القلم لتسطير هذه التأملات ووضعها أمام القارئ الكريم وأمام مفكري الأمة ، لمزيد من التأمل والتعمق في فهم منطلقات الرؤية القرآنية الكونية في هذا المجال الإستراتيجي المهم ، حتى يمكن أن توضع الأمة مجددًا على الجادة ، وحتى يمكن تنقية الثقافة الإسلامية وتفجير طاقتها الحضارية الإصلاحية ، وحتى يمكنها مواجهة تحديات العصر ، وإصلاح مسيرة الإنسانية باتجاه نور الحق والعدل والسلام ، بقوة واقتدار .

دون وضوح الرؤية ، ودون فهم الذات ، ودون تنقية الثقافة ، ودون التوقف عن التقليد والمحاكاة العمياء ، ودون

تاريخ الإنسان ولا يوجد عليه دليل محسوس فيما يعرف من طبائع البشر وقدراتهم .

فإذا علمنا أيضًا أن منطوق الاسم لا معنى ولا قيمة له إذا لم يكن هناك وعي بمعناه وبدلالته ، وهو العلم بطبيعة المسمى ، وبكنهه ، وبوظيفته ، بشكل من الأشكال ، فإن المعنى الممكن هنا لابد من أن ينصرف إلى قدرة الإنسان على الإدراك ، وقدرته على تجريد المشتركات التي تضم المفردات ، وردها إلى أصول وأجناس – وهو أمر واضح في أصل خلق آدم حين سُوِّي ونفخت فيه الروح ، فالكراسي أو الدور أو الحيوانات – على سبيل المثال – تتعدد أشكالًا وألوانًا ومظاهر وتراكيب ، ويختلف كل نوع منها عن الآخر ، إلا أنها في مجموعها ترجع إلى تشابهات وأبعاد تضم مفردات بعضها إلى بعض ، وتجعلها في أجناس وأنواع ، فهناك كرسي المكتب ، وكرسي الاستقبال ، وكرسي السيارة ، وهناك الكرسي الكبير ، والكرسي الصغير ، وهناك الكرسي الخشبي ، والكرسي المعدني ، والكرسي

تاريخ الإنسان ولا يوجد عليه دليل محسوس فيما يعرف من طبائع البشر وقدراتهم .

فإذا علمنا أيضًا أن منطوق الاسم لا معنى ولا قيمة له إذا لم يكن هناك وعي بمعناه وبدلالته ، وهو العلم بطبيعة المسمى ، وبكنهه ، وبوظيفته ، بشكل من الأشكال ، فإن المعنى الممكن هنا لابد من أن ينصرف إلى قدرة الإنسان على الإدراك ، وقدرته على تجريد المشتركات التي تضم المفردات ، وردها إلى أصول وأجناس – وهو أمر واضح في أصل خلق آدم حين سُوِّي ونفخت فيه الروح ، فالكراسي أو الدور أو الحيوانات – على سبيل المثال – تتعدد أشكالًا وألوانًا ومظاهر وتراكيب ، ويختلف كل نوع منها عن الآخر ، إلا أنها في مجموعها ترجع إلى تشابهات وأبعاد تضم مفردات بعضها إلى بعض ، وتجعلها في أجناس وأنواع ، فهناك كرسي المكتب ، وكرسي الاستقبال ، وكرسي السيارة ، وهناك الكرسي الكبير ، والكرسي الصغير ، وهناك الكرسي الخشبي ، والكرسي المعدني ، والكرسي

الأفكار ، وتصميم إبداعات العمران ، وإتقان الصنعة في حياته ، واتخاذ دليل له في دروب الحياة ، مما يعينه على فهم معنى الحياة ، وتحمل أعبائها ومسئولياتها .

وكان لابد للعقل والإدراك الإنساني – على ما هو عليه من إدراك وتفكُّر من أن يتساءل عن طبيعة ذاته ، وعن معنى وجوده وعالمه والغاية منه ، ويتساءل عن مصدر هذا الوجود وهذا العالم ، وعن معنى مفرداته وعلاقاتها وتفاوتها ، وعن طبيعة علاقاته بها ، وعن مصيره ، ومصير عالمه . وهذا الجانب هو أساس الجانب الروحي في الإنسان ، وهو مصدر الدين الذي يكوِّن جانبًا أساسيًّا من حياته ومن تطلعاته ، ومنه يتأتى هذا التساؤل ، وعنه يصدر هذا البحث الديني الفلسفي والضميري ، فهو يأخذ بتلابيب كل فرد إنساني بشكل أو بآخر ، وهذه القضية هي الإشكال الذي شغل المفكرين والفلاسفة – على مرِّ العصور – في مختلف أبعاده وغيبياته ومعمياته ، وإلى أن يرث اللَّه الأرض ومن عليها ، وهو الأمر

الأفكار ، وتصميم إبداعات العمران ، وإتقان الصنعة في حياته ، واتخاذ دليل له في دروب الحياة ، مما يعينه على فهم معنى الحياة ، وتحمل أعبائها ومسئولياتها .

وكان لابد للعقل والإدراك الإنساني – على ما هو عليه من إدراك وتفكُّر من أن يتساءل عن طبيعة ذاته ، وعن معنى وجوده وعالمه والغاية منه ، ويتساءل عن مصدر هذا الوجود وهذا العالم ، وعن معنى مفرداته وعلاقاتها وتفاوتها ، وعن طبيعة علاقاته بها ، وعن مصيره ، ومصير عالمه . وهذا الجانب هو أساس الجانب الروحي في الإنسان ، وهو مصدر الدين الذي يكوِّن جانبًا أساسيًّا من حياته ومن تطلعاته ، ومنه يتأتى هذا التساؤل ، وعنه يصدر هذا البحث الديني الفلسفي والضميري ، فهو يأخذ بتلابيب كل فرد إنساني بشكل أو بآخر ، وهذه القضية هي الإشكال الذي شغل المفكرين والفلاسفة – على مرِّ العصور – في مختلف أبعاده وغيبياته ومعمياته ، وإلى أن يرث اللَّه الأرض ومن عليها ، وهو الأمر

فطرة السعي نحو الفهم والإدراك والمعرفة ، كان لابد له من التساؤل والملاحظة ومحاولة الفهم العقلي حيال كل شيء ، فإلى جانب الإيمان الفطري الوجداني كان البحث العقلي عن مصدر الوجود ، ومعنى الوجود ، وغاية الوجود ، ومصير الوجود ، وهي تساؤلات كانت محلَّ عناية الفلسفة والفلاسفة ، في حدود إدراك العقل ومنطقه .

والفلسفة بهذا المعنى إنما هي تعبير عن فطرة الإدراك المنطقي ، وطلب المعرفة الحسية ، فإذا أدرك الإنسان والمفكر والفيلسوف طبيعة هذه القضية حين تصديه لها ، وأيقن محدودية منطقه وإدراكه الجزئي بشأنها ، فإن بحثه وتفكُّره يكون وسيلة إلى نور الممكن من المعرفة ، وأداة موصلة إلى زيادة الطمأنينة والإيمان ، وعندها لا تكون المعرفة العقلية مناقضةً للمعرفة الإيمانية والطمأنينة الوجدانية .

حاجة العلم إلى الرشد :

لقد كانت المعرفة الرشيدة عند الملائكة مدعاة للإيمان

فطرة السعي نحو الفهم والإدراك والمعرفة ، كان لابد له من التساؤل والملاحظة ومحاولة الفهم العقلي حيال كل شيء ، فإلى جانب الإيمان الفطري الوجداني كان البحث العقلي عن مصدر الوجود ، ومعنى الوجود ، وغاية الوجود ، ومصير الوجود ، وهي تساؤلات كانت محلَّ عناية الفلسفة والفلاسفة ، في حدود إدراك العقل ومنطقه .

والفلسفة بهذا المعنى إنما هي تعبير عن فطرة الإدراك المنطقي ، وطلب المعرفة الحسية ، فإذا أدرك الإنسان والمفكر والفيلسوف طبيعة هذه القضية حين تصديه لها ، وأيقن محدودية منطقه وإدراكه الجزئي بشأنها ، فإن بحثه وتفكُّره يكون وسيلة إلى نور الممكن من المعرفة ، وأداة موصلة إلى زيادة الطمأنينة والإيمان ، وعندها لا تكون المعرفة العقلية مناقضةً للمعرفة الإيمانية والطمأنينة الوجدانية .

حاجة العلم إلى الرشد :

لقد كانت المعرفة الرشيدة عند الملائكة مدعاة للإيمان

ضلالهم وكفرهم واستكبارهم وضلال إبليس من قبلهم وكفره واستكباره : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ [ص: ٧١- ٧٦] . ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢، ١٣] فَعِلمُ إبليس بأن مادة خلقه من النار المدمرة ، وأنها نوعٌ أرقى من نوع مادة الطين المنحطة الخامدة التي خُلِقَ منها الإنسان قاده إلى الكبر والمكابرة ، وأعماه عن محدوديته نسبة إلى علم اللَّه المطلق ، وحكمته وقدرته المطلقة ، وجهله بما سيُـمَيِّز اللَّه به الإنسان من نور الروح والعقل والإدراك . فهو اللَّه القادر الذي وهب الإنسان الإدراك والمسئولية ، وهو الذي جمع فيه الروح بتساميها إلى جانب الطين بانحطاطه ، فبذلك

ضلالهم وكفرهم واستكبارهم وضلال إبليس من قبلهم وكفره واستكباره : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ [ص: ٧١- ٧٦] . ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢، ١٣] فَعِلمُ إبليس بأن مادة خلقه من النار المدمرة ، وأنها نوعٌ أرقى من نوع مادة الطين المنحطة الخامدة التي خُلِقَ منها الإنسان قاده إلى الكبر والمكابرة ، وأعماه عن محدوديته نسبة إلى علم اللَّه المطلق ، وحكمته وقدرته المطلقة ، وجهله بما سيُـمَيِّز اللَّه به الإنسان من نور الروح والعقل والإدراك . فهو اللَّه القادر الذي وهب الإنسان الإدراك والمسئولية ، وهو الذي جمع فيه الروح بتساميها إلى جانب الطين بانحطاطه ، فبذلك

وقدرات إدراكها ، التي تتعلق في نهاية المطاف بإدراك عظمة الخالق ودقة صنعه ولا محدودية قدرته ، إلى جانب محدودية علم الإنسان ومنطقه . وهذا لا يتعارض مع أن ما يقع في دائرة معارف البدوي البسيط ومداركه اليسيرة في صحرائه وباديته ، غير ما يقع في دائرة معارف العلماء والمفكرين في الحواضر ومداركهم ، إلا أنهم كلهم سواء في إدراك محدوديتهم ومحدودية منطقهم ، وفي إدراكهم لعظمة الخلق والخالق .

العلم الراشد مدعاة إلى الإيمان :

ما يزال تقدم العلوم والمعارف في مجال طبائع الكائنات وآفاقها في ازدياد مستمر وتوسع متعاظم ، فهي تفتح كل يوم مجالاتٍ أوسعَ لإدراك عظمة الخلق والخالق ، وما تزال تلك الآفاق تشكِّلُ مجالًا هائلًا للتأمل والتفكر الذي يولد المزيد من الاقتناعات التي تبعث الكثير من الطمأنينة في النفس ، وتعمِّق الإيمان في الذات ، دون أن يغير ذلك الأمر شيئًا من الثوابت المتعلقة بمحدودية الإنسان وإدراكه ومنطقه ، إلى جانب عظمة

وقدرات إدراكها ، التي تتعلق في نهاية المطاف بإدراك عظمة الخالق ودقة صنعه ولا محدودية قدرته ، إلى جانب محدودية علم الإنسان ومنطقه . وهذا لا يتعارض مع أن ما يقع في دائرة معارف البدوي البسيط ومداركه اليسيرة في صحرائه وباديته ، غير ما يقع في دائرة معارف العلماء والمفكرين في الحواضر ومداركهم ، إلا أنهم كلهم سواء في إدراك محدوديتهم ومحدودية منطقهم ، وفي إدراكهم لعظمة الخلق والخالق .

العلم الراشد مدعاة إلى الإيمان :

ما يزال تقدم العلوم والمعارف في مجال طبائع الكائنات وآفاقها في ازدياد مستمر وتوسع متعاظم ، فهي تفتح كل يوم مجالاتٍ أوسعَ لإدراك عظمة الخلق والخالق ، وما تزال تلك الآفاق تشكِّلُ مجالًا هائلًا للتأمل والتفكر الذي يولد المزيد من الاقتناعات التي تبعث الكثير من الطمأنينة في النفس ، وتعمِّق الإيمان في الذات ، دون أن يغير ذلك الأمر شيئًا من الثوابت المتعلقة بمحدودية الإنسان وإدراكه ومنطقه ، إلى جانب عظمة

فالوجود دون شك لا يخضع لمنطق الإنسان المحدود ، لكنه يخضع لمنطق أعلى من منطقه ، وسوف يدرك ذلك ويعلم أبعاده وأبعاد منطقه – كما أخبر القرآن الكريم – حينما تنتهي رحلة حياته وامتحاناتها ، وحينما ينتقل إلى العالم الأعلى الذي فيه : « مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ »[1] ، ﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ۝٥ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٨ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ۝٩ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝١٠ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ۝١١ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ۝١٢ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ۝١٣ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ۝١٤ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ

(١) مسند الإمام أحمد ، رقم الحديث (١٠١٧٢) .

فالوجود دون شك لا يخضع لمنطق الإنسان المحدود ، لكنه يخضع لمنطق أعلى من منطقه ، وسوف يدرك ذلك ويعلم أبعاده وأبعاد منطقه – كما أخبر القرآن الكريم – حينما تنتهي رحلة حياته وامتحاناتها ، وحينما ينتقل إلى العالم الأعلى الذي فيه : « مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ » (١) ، ﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ۝٥ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٨ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ۝٩ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝١٠ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ۝١١ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ۝١٢ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ۝١٣ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ۝١٤ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ

(١) مسند الإمام أحمد ، رقم الحديث (١٠١٧٢) .

المعادلات تخضع لإدراك ومنطق أعلى بكثير مما هو موجود لدى الحيوانات والقطط ، وإن إنكار محدودية علم الخلق وحكمتهم نسبة إلى علم الخالق وحكمته ، من قِبَلِ إبليس ، كان من باب الاستكبار القبيح الذي وقع في شراكه إبليس والذي ما يزال يقع فيه بعض البشر من أهل الكِبرِ والإلحاد .

ومن الحقائق التي يعلمها الإنسان ، ويعلمها المستكبرون من « العلماء » قبل سواهم ، أنه كلما اكتشف الإنسان مستوًى أعلى من المنطق رأى في الأمور ذاتها ما لم يره من قبل ، فكثير من حقائق العلم وخواص المواد وطبائعها وطاقاتها وإمكاناتها وما تخبئه من الخصائص والإمكانات قد تغير في البعد الذري الدقيق المستتر نسبيًّا عما كان مقررًا عن بعض الحقائق العلمية قبل ذلك في البعد الحسي اليسير الظاهر ، فلم تعد الجوامد ساكنة خامدة ، بل أصبحت كلُّها في البعد الذري حركةً ، وكلما اشتد جمودُ المادة وكثافتُها وحسُّ خمودها الظاهر أصبحت حركتها الذرية الخافية أشدَّ وأكبرَ ، ولم تعد المادة في

المعادلات تخضع لإدراك ومنطق أعلى بكثير مما هو موجود لدى الحيوانات والقطط ، وإن إنكار محدودية علم الخلق وحكمتهم نسبة إلى علم الخالق وحكمته ، من قِبَلِ إبليس ، كان من باب الاستكبار القبيح الذي وقع في شراكه إبليس والذي ما يزال يقع فيه بعض البشر من أهل الكِبرِ والإلحاد .

ومن الحقائق التي يعلمها الإنسان ، ويعلمها المستكبرون من « العلماء » قبل سواهم ، أنه كلما اكتشف الإنسان مستوًى أعلى من المنطق رأى في الأمور ذاتها ما لم يره من قبل ، فكثير من حقائق العلم وخواص المواد وطبائعها وطاقاتها وإمكاناتها وما تخبئه من الخصائص والإمكانات قد تغير في البعد الذري الدقيق المستتر نسبيًّا عما كان مقررًا عن بعض الحقائق العلمية قبل ذلك في البعد الحسي اليسير الظاهر ، فلم تعد الجوامد ساكنة خامدة ، بل أصبحت كلُّها في البعد الذري حركةً ، وكلما اشتد جمودُ المادة وكثافتُها وحسُّ خمودها الظاهر أصبحت حركتها الذرية الخافية أشدَّ وأكبرَ ، ولم تعد المادة في

الأساسية التي قام عليها – وما يزال – أساس إيماني العميق بأن رسالة الإسلام هي وحيٌ من عند اللَّه ، وكان ذلك في مرحلة مبكرة من حياتي الفكرية على مقاعد الدراسة الثانوية في مكة المكرمة ، مما يوضح نقطة ثبات المنطلقات التي أعانتني دون خوف أو تردد على خوض كثير من القضايا ومراجعتها : تفكرًا ، وتأملًا ، وبحثًا عن الحق والمعرفة .

وبتوفيق اللَّه وحفظه فإنني مع هذا الإيمان الذي يتغلغل في أعماق النفس ، ويهدي الفكر ، ويسدد المسير ، ويوجه السلوك ، لا أخشى أو أتردد في مواجهة نفسي بما يثور في خلجاتها من تساؤلات ، وما يعصف بخواطري من ملاحظات ، ومهما بلغت حيرة النفس تجاهها ، واستعصى على العقل فهمها وإدراك الحكمة الكامنة وراءها فإن إيماني بالرسالة لا يتغير ، وإدراكَ نفسي لعظمة الخالق ، وإبداع صنعته ، وقدرته وحكمته وحسن تدبيره للخلائق لا يتبدَّل ،

= العالمية في ماليزيا .

الأساسية التي قام عليها – وما يزال – أساس إيماني العميق بأن رسالة الإسلام هي وحيٌ من عند اللَّه ، وكان ذلك في مرحلة مبكرة من حياتي الفكرية على مقاعد الدراسة الثانوية في مكة المكرمة ، مما يوضح نقطة ثبات المنطلقات التي أعانتني دون خوف أو تردد على خوض كثير من القضايا ومراجعتها : تفكرًا ، وتأملًا ، وبحثًا عن الحق والمعرفة .

وبتوفيق اللَّه وحفظه فإنني مع هذا الإيمان الذي يتغلغل في أعماق النفس ، ويهدي الفكر ، ويسدد المسير ، ويوجه السلوك ، لا أخشى أو أتردد في مواجهة نفسي بما يثور في خلجاتها من تساؤلات ، وما يعصف بخواطري من ملاحظات ، ومهما بلغت حيرة النفس تجاهها ، واستعصى على العقل فهمها وإدراك الحكمة الكامنة وراءها فإن إيماني بالرسالة لا يتغير ، وإدراكَ نفسي لعظمة الخالق ، وإبداع صنعته ، وقدرته وحكمته وحسن تدبيره للخلائق لا يتبدَّل ،

= العالمية في ماليزيا .

وحِسٍّ الاستدلال .

القضيـــة :

والسؤال موضع التفكر في هذه المقالة يتعلق بظاهرةٍ استوقفت نظري وتأملي طويلًا ، ولَشَدَّ ما تساءلتُ عن معناها ، وعن الحكمة الكامنة فيها ، وهذه الظاهرة هي ظاهرة دورة الحياة ، حيث يتحتم على بعض الكائنات من أجل أن تبقى وتحافظ على وجودها أن « تعتدي » وأن « تفترس » سواها ، وهو ما يسمى في الفكر الغربي « شريعة الغاب » ، « والبقاء للأصلح » بمعنى « الأقوى » فالكواسر القوية من الحيوانات والدواب على مختلف أجناسها في البر والبحر والجو لابد لها لكي تعيش من أن تفترس سواها من الكائنات ، ولاسيما تلك الكائنات التي هي أضعف منها !! حيث لابد للأسد من أن يفترس بقر الوحش ، ولابد للذئب من أن يفترس الغزال والحَمَل ، ولابد للثعلب من أن يفترس الأرنب ، ولا بد للبازي من أن يفترس اليمام والْحَمَام . وأما الإنسان فحدث

وحِسٍّ الاستدلال .

القضيـــة :

والسؤال موضع التفكر في هذه المقالة يتعلق بظاهرةٍ استوقفت نظري وتأملي طويلًا ، ولَشَدَّ ما تساءلتُ عن معناها ، وعن الحكمة الكامنة فيها ، وهذه الظاهرة هي ظاهرة دورة الحياة ، حيث يتحتم على بعض الكائنات من أجل أن تبقى وتحافظ على وجودها أن « تعتدي » وأن « تفترس » سواها ، وهو ما يسمى في الفكر الغربي « شريعة الغاب » ، « والبقاء للأصلح » بمعنى « الأقوى » فالكواسر القوية من الحيوانات والدواب على مختلف أجناسها في البر والبحر والجو لابد لها لكي تعيش من أن تفترس سواها من الكائنات ، ولاسيما تلك الكائنات التي هي أضعف منها !! حيث لابد للأسد من أن يفترس بقر الوحش ، ولابد للذئب من أن يفترس الغزال والحَمَل ، ولابد للثعلب من أن يفترس الأرنب ، ولا بد للبازي من أن يفترس اليمام والْحَمَام . وأما الإنسان فحدث

يتعلق بقدرة اللَّه غير المحدودة الذي لو شاء لأقام نظامًا وترتيبًا آخر يقوم على التوازن والدوام دون افتراسٍ ومعاناةٍ وألمٍ لهذه الكائنات العجماوات .

لم أملك إلا أن ألاحظ وأن أتساءل ؟ ولم يكن من اليسير إدراك المعنى والحكمة الأشمل في ذلك ، وحينما أشركتُ بعض الإخوة في مناقشة تلك الخاطرة ، وتأمُّل تلك الملحوظة ، ومحاولة الإجابة عن ذلك التساؤل الذي دار في نفسي ، فلاحظتُ – عاذرًا لهم – تخوفهم من السؤال والتساؤل عن أمور لا يسهل بحثها ، وتضمنت إجاباتهم التلقائية مقولاتٍ عن أهمية الألم ، بل وعن عذوبته ودوره الضروري في بناء الحياة وطعمها وتشكيلها ، ولكنني بالطبع لم أفهم معنى الألم وضرورته في ما ينال الغزال من الألم بين فكَّي ذئبٍ في الصحراء ، والحوت والسمك في ظلمات البحار ، ولو شاء اللَّه جلَّت حكمته لكان غير ذلك .

وأدركت حينها أن تهيب مثل هذه القضية مصدره هو

يتعلق بقدرة اللَّه غير المحدودة الذي لو شاء لأقام نظامًا وترتيبًا آخر يقوم على التوازن والدوام دون افتراسٍ ومعاناةٍ وألمٍ لهذه الكائنات العجماوات .

لم أملك إلا أن ألاحظ وأن أتساءل ؟ ولم يكن من اليسير إدراك المعنى والحكمة الأشمل في ذلك ، وحينما أشركتُ بعض الإخوة في مناقشة تلك الخاطرة ، وتأمُّل تلك الملحوظة ، ومحاولة الإجابة عن ذلك التساؤل الذي دار في نفسي ، فلاحظتُ – عاذرًا لهم – تخوفهم من السؤال والتساؤل عن أمور لا يسهل بحثها ، وتضمنت إجاباتهم التلقائية مقولاتٍ عن أهمية الألم ، بل وعن عذوبته ودوره الضروري في بناء الحياة وطعمها وتشكيلها ، ولكنني بالطبع لم أفهم معنى الألم وضرورته في ما ينال الغزال من الألم بين فكَّي ذئبٍ في الصحراء ، والحوت والسمك في ظلمات البحار ، ولو شاء اللَّه جلَّت حكمته لكان غير ذلك .

وأدركت حينها أن تهيب مثل هذه القضية مصدره هو

وإن ذلك لا يعفيه من طلب التحقق ، ومن الفهم السليم ، ويجب أن يكون العقل المهتدي موضع الحرص والثقة والتكامل مع الوحي في فهم الشريعة والتشريع وإعمالهما في شئون الحياة كما أراد اللَّه لهما ليكونا نورًا وهداية للعالمين ، أما رفض إعمال العقل المسلم ، وعدم الثقة به ، والدعوة إلى المتابعة العمياء ، والتنكر للبحث والنظر وفهم السنن والوقائع ، فهو من قبيل الخلط بين الإيمان والاستكبار ، مما يقود بأسلوب أو بآخر إلى العجز والضلال .

وقد خفف من إحساسي بألم الحيرة والعجز عن إشباع فطرة طلب المعرفة وكشف مستور الحقائق أنني كنت أتصفح في أحد مؤلفات أحد الأئمة الأعلام وأظنه – إن لم تخني الذاكرة – ابن قيم الجوزية فوجدته قد أثار تساؤلًا شبيهًا بهذا التساؤل ، وأجاب عنه إجابة قريبة مما استقر في نفسي ، وهو أن الثقة بقدرة اللَّه وحكمته ، ومحدودية إدراكنا البشري ، كل ذلك يجعلنا في النهاية – إذا لم نهتدِ إلى جواب محسوس

وإن ذلك لا يعفيه من طلب التحقق ، ومن الفهم السليم ، ويجب أن يكون العقل المهتدي موضع الحرص والثقة والتكامل مع الوحي في فهم الشريعة والتشريع وإعمالهما في شئون الحياة كما أراد اللَّه لهما ليكونا نورًا وهداية للعالمين ، أما رفض إعمال العقل المسلم ، وعدم الثقة به ، والدعوة إلى المتابعة العمياء ، والتنكر للبحث والنظر وفهم السنن والوقائع ، فهو من قبيل الخلط بين الإيمان والاستكبار ، مما يقود بأسلوب أو بآخر إلى العجز والضلال .

وقد خفف من إحساسي بألم الحيرة والعجز عن إشباع فطرة طلب المعرفة وكشف مستور الحقائق أنني كنت أتصفح في أحد مؤلفات أحد الأئمة الأعلام وأظنه – إن لم تخني الذاكرة – ابن قيم الجوزية فوجدته قد أثار تساؤلًا شبيهًا بهذا التساؤل ، وأجاب عنه إجابة قريبة مما استقر في نفسي ، وهو أن الثقة بقدرة اللَّه وحكمته ، ومحدودية إدراكنا البشري ، كل ذلك يجعلنا في النهاية – إذا لم نهتدِ إلى جواب محسوس

الإنسان من أمرها ، ليسخرها ، ويسلك سبلها ، ويقوم بالحق على شأنها .

والقرآن الكريم كلمة اللَّه ورسالته الخاتمة إلى الإنسان ، هو المرجع والمصدر لفهم الكليات والعلاقات الكونية والغائية ، ولذلك فإن مفتاح التفكر في هذه القضية يكمن في التفكر والتدبر في القرآن الكريم لفهم ما يمكن فهمه من الكليات والغيبيات في حياة الإنسان وكيانه وكونه ، ولذلك فإنني في محاولتي التفكر والتدبر في قضية طبع الحيوان وعلاقاته – وما يتعلق بها من علاقات الإنسان والكائنات بعضها ببعض – رجعت إلى القرآن الكريم مصدر الغيبيات والكليات ، بحثًا عن شيء من الضوء يعين على فهم شيء من طبائع المخلوقات ، وتفسير بعض علاقاتها ، والغاية منها ، ولعل فيما خرجت به من حصيلة هذه المحاولة في كتاب اللَّه لفهم هذه القضية وسبر غور بعض جوانبها شيء من الفائدة .

فنحن نعلم أن النور والنار والطين في عالمنا هي أحوال

الإنسان من أمرها ، ليسخرها ، ويسلك سبلها ، ويقوم بالحق على شأنها .

والقرآن الكريم كلمة اللَّه ورسالته الخاتمة إلى الإنسان ، هو المرجع والمصدر لفهم الكليات والعلاقات الكونية والغائية ، ولذلك فإن مفتاح التفكر في هذه القضية يكمن في التفكر والتدبر في القرآن الكريم لفهم ما يمكن فهمه من الكليات والغيبيات في حياة الإنسان وكيانه وكونه ، ولذلك فإنني في محاولتي التفكر والتدبر في قضية طبع الحيوان وعلاقاته – وما يتعلق بها من علاقات الإنسان والكائنات بعضها ببعض – رجعت إلى القرآن الكريم مصدر الغيبيات والكليات ، بحثًا عن شيء من الضوء يعين على فهم شيء من طبائع المخلوقات ، وتفسير بعض علاقاتها ، والغاية منها ، ولعل فيما خرجت به من حصيلة هذه المحاولة في كتاب اللَّه لفهم هذه القضية وسبر غور بعض جوانبها شيء من الفائدة .

فنحن نعلم أن النور والنار والطين في عالمنا هي أحوال

كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ﴾ [محمد: ١٢] .

وطبيعة النار تتصل بالنور ، إلا أنها في حالة مدمرة ، ولذلك كان إبليس من الملائكة ، وحين عصى وتمرد غلبته الطبيعة التدميرية ونوازع الأذى لديه ، فعصى أمر ربه ، وإن الجن الذين هم من نار كان منهم المؤمنُ المطيعُ ، كما أن منهم العاصي المستكبر .

ولما كانت طبيعةُ إبليس طبيعةً ناريةً مؤذية فإن تلك الطبيعة حين جنحت للعصيان تمردت واستكبرت عن أمر اللَّه ، واتجهت إلى الحقد على الإنسان ، والإضرار به ، وتوعُّده بالأذى ، ودفعه إلى الضلال والخطيئة ، ودفعه إلى الاتجاه الطيني المنحط وما ينجم عن طينيته من أهواء قانون الغاب الحيواني ونوازعه وعنصريته وعدوانيته وشهواته ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ قَالَ ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا ۝٦١ قَالَ أَرَءَيۡتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمۡتَ عَلَيَّ لَئِنۡ أَخَّرۡتَنِ إِلَىٰ

كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ﴾ [محمد: ١٢] .

وطبيعة النار تتصل بالنور ، إلا أنها في حالة مدمرة ، ولذلك كان إبليس من الملائكة ، وحين عصى وتمرد غلبته الطبيعة التدميرية ونوازع الأذى لديه ، فعصى أمر ربه ، وإن الجن الذين هم من نار كان منهم المؤمنُ المطيعُ ، كما أن منهم العاصي المستكبر .

ولما كانت طبيعةُ إبليس طبيعةً ناريةً مؤذية فإن تلك الطبيعة حين جنحت للعصيان تمردت واستكبرت عن أمر اللَّه ، واتجهت إلى الحقد على الإنسان ، والإضرار به ، وتوعُّده بالأذى ، ودفعه إلى الضلال والخطيئة ، ودفعه إلى الاتجاه الطيني المنحط وما ينجم عن طينيته من أهواء قانون الغاب الحيواني ونوازعه وعنصريته وعدوانيته وشهواته ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ قَالَ ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا ۝٦١ قَالَ أَرَءَيۡتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمۡتَ عَلَيَّ لَئِنۡ أَخَّرۡتَنِ إِلَىٰ

والشمس التي تبث الضياء والدفء - لا الأذى والدمار - بأنها ضياء وبأنها سراج ، لا نار ، نسبة إلى أثرها في حياة الإنسان ؛ لأن الضوء والنور حالة للطاقة تعطي وتفيد دون تدمير ، والسراج نار منيرة تبعث الضوء والنور ، على عكس النار المدمرة ، حتى إن نفعها لا يتأتى إلا من خلال طاقة التدمير والتحويل ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا ﴾ [يونس: ٥] ﴿ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾ [نوح: ١٦] ﴿ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴾ [الهُمَزَة: ٤- ٦] ﴿ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ۝ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴾ [المعارج: ١٥- ١٦] .

أما الروح فهي من عند اللَّه ومن أمره ونوره ، وهي تمثل جانب التسامي والكمال والخير في الإنسان ، وتُنْسَب إلى اللَّه جل شأنه ﴿ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ﴾ [السجدة: ٩] ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ [الحجر: ٢٩] ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ

والشمس التي تبث الضياء والدفء - لا الأذى والدمار - بأنها ضياء وبأنها سراج ، لا نار ، نسبة إلى أثرها في حياة الإنسان ؛ لأن الضوء والنور حالة للطاقة تعطي وتفيد دون تدمير ، والسراج نار منيرة تبعث الضوء والنور ، على عكس النار المدمرة ، حتى إن نفعها لا يتأتى إلا من خلال طاقة التدمير والتحويل ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا ﴾ [يونس: ٥] ﴿ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾ [نوح: ١٦] ﴿ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴾ [الهُمَزَة: ٤- ٦] ﴿ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ۝ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴾ [المعارج: ١٥- ١٦] .

أما الروح فهي من عند اللَّه ومن أمره ونوره ، وهي تمثل جانب التسامي والكمال والخير في الإنسان ، وتُنْسَب إلى اللَّه جل شأنه ﴿ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ﴾ [السجدة: ٩] ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ [الحجر: ٢٩] ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ

لاروح لها ، فهي من الطين الحمإ المسنون ، والإنسان هو الكائن الفريد الذي يلتقي فيه نور الروح السامية وحمأة الطين الخامد المنحط .

الإنسان نور وطين : حياة مخلدة

والمهم في بحثنا هنا هو جسم الإنسان المصنوع هو وجميع دواب الأرض من التراب وما لاحظناه في طبع هذه الدواب الطينية المحضة من ضرورة افتراس بعضهم بعضًا من أجل البقاء واستمرار الحياة والحفاظ عليها .

وإذا نظرنا إلى الإنسان وجدناه الكائن الوحيد الذي نفخت فيه الروح ، وهو بذلك الوحيد الذي تلتقي فيه الروح النورانية بالمادة الكثيفة المنحطة الطينية ، وهو أيضًا الكائن الوحيد بين المخلوقات التي تدبُّ على الأرض وُجِّه إليه نورُ وحْيِ الشرائعِ الربانيةِ النورانيةِ لترشيد حياته وهدايته ، على غير شريعة الغاب وقانونها الذي يحكم طبع الحيوان الذي هو مجردُ حياةٍ ونَفْسٌ من نَفَسٍ ، أي هو جسد من طين وحيوان من حياة يميزها

لاروح لها ، فهي من الطين الحمإ المسنون ، والإنسان هو الكائن الفريد الذي يلتقي فيه نور الروح السامية وحمأة الطين الخامد المنحط .

الإنسان نور وطين : حياة مخلدة

والمهم في بحثنا هنا هو جسم الإنسان المصنوع هو وجميع دواب الأرض من التراب وما لاحظناه في طبع هذه الدواب الطينية المحضة من ضرورة افتراس بعضهم بعضًا من أجل البقاء واستمرار الحياة والحفاظ عليها .

وإذا نظرنا إلى الإنسان وجدناه الكائن الوحيد الذي نفخت فيه الروح ، وهو بذلك الوحيد الذي تلتقي فيه الروح النورانية بالمادة الكثيفة المنحطة الطينية ، وهو أيضًا الكائن الوحيد بين المخلوقات التي تدبُّ على الأرض وُجِّه إليه نورُ وحْيِ الشرائعِ الربانيةِ النورانيةِ لترشيد حياته وهدايته ، على غير شريعة الغاب وقانونها الذي يحكم طبع الحيوان الذي هو مجردُ حياةٍ ونَفْسٌ من نَفَسٍ ، أي هو جسد من طين وحيوان من حياة يميزها

يشترك مع الإنسان في الحياة ، لكنه لا يشترك معه في الروح ، ولذلك كان للذات الإنسانية المزدوجة تكوين وطبيعة وغاية وقانون يختلف كل الاختلاف عن تكوين الحيوان وطبيعته وغايته وقانونه ، وإن اشتركا في شيء منها .

فنحن إذا نظرنا إلى الإنسان وجدنا فيه جانب الإدراك والضمير والتسامي الذي يتعلق بالروح وشريعة النور جنبًا إلى جنب مع الجسد وحاجاته المادية وما يتعلق به من الشهوات والسوءات والعورات التي تنزع بالإنسان إلى الطبيعة الطينية وشريعة الغاب الحيوانية ، فالنفس هنا بمعنى الذات الإنسانية تتكون من عنصرين هما : عنصر الروح النورانية ، وعنصر النَّفْس (بسكون الفاء) من النَّفَس (بفتح الفاء) أي الحياة والجسد الطيني الذي يمثل عنصر الحاجات والنزعات والشهوات الحياتية الطينية ولذلك ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ ﴾ [آل عمران : ١٤] وعلى الإنسان صاحب الروح ترشيد النفس الحيوانية ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ

يشترك مع الإنسان في الحياة ، لكنه لا يشترك معه في الروح ، ولذلك كان للذات الإنسانية المزدوجة تكوين وطبيعة وغاية وقانون يختلف كل الاختلاف عن تكوين الحيوان وطبيعته وغايته وقانونه ، وإن اشتركا في شيء منها .

فنحن إذا نظرنا إلى الإنسان وجدنا فيه جانب الإدراك والضمير والتسامي الذي يتعلق بالروح وشريعة النور جنبًا إلى جنب مع الجسد وحاجاته المادية وما يتعلق به من الشهوات والسوءات والعورات التي تنزع بالإنسان إلى الطبيعة الطينية وشريعة الغاب الحيوانية ، فالنفس هنا بمعنى الذات الإنسانية تتكون من عنصرين هما : عنصر الروح النورانية ، وعنصر النَّفْس (بسكون الفاء) من النَّفَس (بفتح الفاء) أي الحياة والجسد الطيني الذي يمثل عنصر الحاجات والنزعات والشهوات الحياتية الطينية ولذلك ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ ﴾ [آل عمران : ١٤] وعلى الإنسان صاحب الروح ترشيد النفس الحيوانية ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ

نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴾ [المدثر: ٤٠- ٤٧] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة ٩٠: ٩١] ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴾ [المعارج: ٢٩- ٣٥] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [المنافقون: ٩] ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ

نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴾ [المدثر: ٤٠- ٤٧] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة ٩٠: ٩١] ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴾ [المعارج: ٢٩- ٣٥] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [المنافقون: ٩] ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ

ٱلْيَقِينُ ﴾ [المدثر: ٣٨- ٤٧] ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴾ [الماعون: ١- ٧] ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [هود: ١٥، ١٦] ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت: ٤٦] ﴿ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [فاطر: ١٨] ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [يوسف: ٥٣] .

وهكذا يوضح القرآن وشريعة النور أن الحياة الإنسانية الدنيوية صراع بين الروح والمبادئ والمعاني والقيم من ناحية ، والمادة والهوى والشهوات من ناحية ، حيث يلتقي التوجهان في ذات الإنسان وكينونته - خلال حياته الدنيوية - لقاءً

ٱلْيَقِينُ ﴾ [المدثر: ٣٨- ٤٧] ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴾ [الماعون: ١- ٧] ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [هود: ١٥، ١٦] ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت: ٤٦] ﴿ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [فاطر: ١٨] ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [يوسف: ٥٣] .

وهكذا يوضح القرآن وشريعة النور أن الحياة الإنسانية الدنيوية صراع بين الروح والمبادئ والمعاني والقيم من ناحية ، والمادة والهوى والشهوات من ناحية ، حيث يلتقي التوجهان في ذات الإنسان وكينونته - خلال حياته الدنيوية - لقاءً

النورانية والحيوانية الطينية المادية ، وبين التسامي والضلال ، وما يجره الضلال من الإخلاد إلى الأرض ، بعكس أشواق الروح وشريعة النور التي ترتقي بالنفس الإنسانية في معارج الحق ومعاني الخير .

كما أن جوهر المادة في انحطاط طبع وجودها يفسر – من بعض الوجوه – معاني رمزية الطهارة المادية والمعنوية الإسلامية ومطالبها في حياة الفرد وممارساته وعباداته ، من طهارةٍ ووضوءٍ وغسلٍ ، ونظافةٍ وستر وزينةٍ ، وذكرٍ وبسملةٍ عند الأكل ، وتكبيرٍ باسم الخالق عند الذبح ، وعدم قتلِ أو صيدِ ما لا حاجة للإنسان في قتله أو صيده ، ورعايةِ الدواب والرفق بها ، وجوب المحافظة على سلامة البيئة ، بل لعله يفسر من بعض الوجوه كراهة أو تحريم أكل الحيوانات البرية المفترسة على الإنسان ، والتي تشاركه الأرض ، والمزودة بأدوات الافتراس ، وهي الناب والمخلب ؛ لأن أكلها فيما يبدو يجعل الإنسان ذا طبيعة افتراسية مركبة ، مما يدخله في حلبة

النورانية والحيوانية الطينية المادية ، وبين التسامي والضلال ، وما يجره الضلال من الإخلاد إلى الأرض ، بعكس أشواق الروح وشريعة النور التي ترتقي بالنفس الإنسانية في معارج الحق ومعاني الخير .

كما أن جوهر المادة في انحطاط طبع وجودها يفسر – من بعض الوجوه – معاني رمزية الطهارة المادية والمعنوية الإسلامية ومطالبها في حياة الفرد وممارساته وعباداته ، من طهارةٍ ووضوءٍ وغسلٍ ، ونظافةٍ وستر وزينةٍ ، وذكرٍ وبسملةٍ عند الأكل ، وتكبيرٍ باسم الخالق عند الذبح ، وعدم قتلِ أو صيدِ ما لا حاجة للإنسان في قتله أو صيده ، ورعايةِ الدواب والرفق بها ، وجوب المحافظة على سلامة البيئة ، بل لعله يفسر من بعض الوجوه كراهة أو تحريم أكل الحيوانات البرية المفترسة على الإنسان ، والتي تشاركه الأرض ، والمزودة بأدوات الافتراس ، وهي الناب والمخلب ؛ لأن أكلها فيما يبدو يجعل الإنسان ذا طبيعة افتراسية مركبة ، مما يدخله في حلبة

= ما لاحظناه في باقي الأطراف وعوالم الوجود .

ويمكن الرجوع إلى القرآن الكريم وتتبع ما ورد فيه بشأن الذات الإلهية ، وكيف أن صفة الرحمة الأولى ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٦٣] ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ ﴾ [الإسراء: ١١٠] وهذا ينطبق على الشيطان وذريته وعوالم الجان والحيوان والإنسان . حيث يتناول القرآن الكريم هذه الكائنات في كثير من آياته بالوصف والبيان .

يقول اللَّه تعالى عن الحيوان : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [النحل: ٩٨] ﴿ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ ﴾ [النور: ٢١] ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ ﴾ [فاطر: ٦] ويقول اللَّه تعالى ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ ﴾ [الأنعام: ٣٨] ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٩] ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ [النحل: ٥] ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ ﴾ [فاطر: ٢٨] وما يلاحظ هنا أن لفظ الحيوان كصفة انحطاط للبهيم لم يذكر في القرآن وإنما ذكر بعض أنواعه النافعة كبهيمة الأنعام وحوت البحر ، أو ذكرت أهم صفاته كالدَّبِّ على الأرض والطيران في السماء .

ويقول اللَّه سبحانه عن الإنسان وعن صفة النسيان فيه : ﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [المجادلة: ١٩] ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾ [طه: ١١٥] ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾ [البقرة: ٤٤] ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ ﴾ [البقرة: ٢٨٦] . أما اللَّه سبحانه فهو منزَّه عن النسيان ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ [مريم: ٦٤] .

= ما لاحظناه في باقي الأطراف وعوالم الوجود .

ويمكن الرجوع إلى القرآن الكريم وتتبع ما ورد فيه بشأن الذات الإلهية ، وكيف أن صفة الرحمة الأولى ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٦٣] ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الإسراء: ١١٠] وهذا ينطبق على الشيطان وذريته وعوالم الجان والحيوان والإنسان . حيث يتناول القرآن الكريم هذه الكائنات في كثير من آياته بالوصف والبيان .

يقول اللَّه تعالى عن الحيوان : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [النحل: ٩٨] ﴿ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ ﴾ [النور: ٢١] ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ ﴾ [فاطر: ٦] ويقول اللَّه تعالى ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ ﴾ [الأنعام: ٣٨] ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٩] ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ [النحل: ٥] ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ ﴾ [فاطر: ٢٨] وما يلاحظ هنا أن لفظ الحيوان كصفة انحطاط للبهيم لم يذكر في القرآن وإنما ذكر بعض أنواعه النافعة كبهيمة الأنعام وحوت البحر ، أو ذكرت أهم صفاته كالدَّبِّ على الأرض والطيران في السماء .

ويقول اللَّه سبحانه عن الإنسان وعن صفة النسيان فيه : ﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [المجادلة: ١٩] ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾ [طه: ١١٥] ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾ [البقرة: ٤٤] ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ ﴾ [البقرة: ٢٨٦] . أما اللَّه سبحانه فهو منزَّه عن النسيان ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ [مريم: ٦٤] .

= ننكر أن خلق الإنسان لم يتم ماديًّا في تطور وانتقال من مرحلة إلى مرحلة إذا كان ذلك ما أراده اللَّه له حتى سواه ونفخ فيه من روحه ، بل إن القرآن الكريم فيه ما يشير إلى هذا التطور والانتقال من حال إلى حال حتى تمت تسوية الإنسان بشرًا سويًّا ، يقول اللَّه ﷻ : ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ۝ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ﴾ [السجدة: ٧- ٩] فمن الواضح – حسب منطوق هذه الآية وما تشير إليه بعض الحفريات والأبحاث العلمية – أن اللَّه قدَّر خلق الإنسان على مراحل ثلاث ، هي : اثنتان منها مراحل حيوية وحيوانية فيها حياة ولكن لا روح فيها ، مرحلة بدء خلقه الأولية ثم مرحلة الارتقاء الحيوانية التناسلية ثم المرحلة الثالثة والأخيرة التي سوى اللَّه فيها أبينا آدم إنسانًا سويًّا ، ونفخ فيه من روحه ، وهذه قضية – في رأينا – لا علاقة لها البتة بدعوى العشوائية الداروينية الساذجة ، يقول اللَّه تعالى : ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ [يس: ٨٢- ٨٣] أي إن إرادة اللَّه ﷻ تجري على الوجه الذي يشاء ، أي إنها تعني حتمية النفاذ . وهذا يوضح أن الإنسان ليس مجرد حيوان ، بل هو كائن متميز بالروح التي تدفعه بما جبل عليه من العقل والإدراك والضمير ، للتطلع نحو نور الحق ، مصارعة شريعة الغاب العدوانية ، وأيًّا كان ما يقرره البحث العلمي عن الهيئة التي خلق اللَّه بها الإنسان ، فهي مقبولة عند المؤمن ؛ لأن ذلك يعني أمر اللَّه وإرادته ، وعلى المسلم طلب العلم والمعرفة التي لا يمكن في نهاية المطاف أن تتعارض مع الوحي المنزل من عند الخالق ﷻ ﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلۡأٓفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ ﴾ [فصلت: ٥٣] ﴿ قُلۡ سِيرُواْ فِى ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ﴾ [العنكبوت: ٢٠] .

= ننكر أن خلق الإنسان لم يتم ماديًّا في تطور وانتقال من مرحلة إلى مرحلة إذا كان ذلك ما أراده اللَّه له حتى سواه ونفخ فيه من روحه ، بل إن القرآن الكريم فيه ما يشير إلى هذا التطور والانتقال من حال إلى حال حتى تمت تسوية الإنسان بشرًا سويًّا ، يقول اللَّه ﷻ : ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ۝ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ﴾ [السجدة: ٧- ٩] فمن الواضح – حسب منطوق هذه الآية وما تشير إليه بعض الحفريات والأبحاث العلمية – أن اللَّه قدَّر خلق الإنسان على مراحل ثلاث ، هي : اثنتان منها مراحل حيوية وحيوانية فيها حياة ولكن لا روح فيها ، مرحلة بدء خلقه الأولية ثم مرحلة الارتقاء الحيوانية التناسلية ثم المرحلة الثالثة والأخيرة التي سوى اللَّه فيها أبينا آدم إنسانًا سويًّا ، ونفخ فيه من روحه ، وهذه قضية – في رأينا – لا علاقة لها البتة بدعوى العشوائية الداروينية الساذجة ، يقول اللَّه تعالى : ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ [يس: ٨٢- ٨٣] أي إن إرادة اللَّه ﷻ تجري على الوجه الذي يشاء ، أي إنها تعني حتمية النفاذ . وهذا يوضح أن الإنسان ليس مجرد حيوان ، بل هو كائن متميز بالروح التي تدفعه بما جبل عليه من العقل والإدراك والضمير ، للتطلع نحو نور الحق ، مصارعة شريعة الغاب العدوانية ، وأيًّا كان ما يقرره البحث العلمي عن الهيئة التي خلق اللَّه بها الإنسان ، فهي مقبولة عند المؤمن ؛ لأن ذلك يعني أمر اللَّه وإرادته ، وعلى المسلم طلب العلم والمعرفة التي لا يمكن في نهاية المطاف أن تتعارض مع الوحي المنزل من عند الخالق ﷻ ﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلۡأٓفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ ﴾ [فصلت: ٥٣] ﴿ قُلۡ سِيرُواْ فِى ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ﴾ [العنكبوت: ٢٠] .

الغرب – شعوبُ الإنسانيةِ أنواعَ الظلم والقهر ، كما يفسر هذا الفكر وهذه الفلسفة ظهور القومية في الفكر السياسي الأوروبي الحديث التي وصلت القسوة والعنصرية بها إلى حدِّ الإبادة الوحشية في بعض الأحيان ، كما حدث في الأمريكتين ، وفي أفريقيا وأستراليا وبلاد الشرق الأقصى ، وكما يحدث اليوم من قبل الغرب الصهيوني على أرض فلسطين .

إن شريعة الغاب هي شريعة الطين ، وشريعة الافتراس ، وشريعة الظلم ، وشريعة العنصرية ، وشريعة الاعتداء . أما شريعة النور كما جاءت بها الرسالات السماوية في الإسلام وفي بقاياها غير المحرفة في مختلف الأديان فهي شريعة الحق ، وشريعة العدل ، وشريعة المسؤولية ، وشريعة الإخاء والتراحم والتكافل الإنساني ، وهي شريعة التقوى وحفظ الأرواح ، وشريعة أداء الأمانات وإنصاف المظلوم ، وعدم الإسراف والفساد ، باعتبار إنساني ودون أي اعتبار ذاتي أو قومي أو عنصري ، والقوة في هذه الشريعة للحق على عكس مقولة

الغرب – شعوبُ الإنسانيةِ أنواعَ الظلم والقهر ، كما يفسر هذا الفكر وهذه الفلسفة ظهور القومية في الفكر السياسي الأوروبي الحديث التي وصلت القسوة والعنصرية بها إلى حدِّ الإبادة الوحشية في بعض الأحيان ، كما حدث في الأمريكتين ، وفي أفريقيا وأستراليا وبلاد الشرق الأقصى ، وكما يحدث اليوم من قبل الغرب الصهيوني على أرض فلسطين .

إن شريعة الغاب هي شريعة الطين ، وشريعة الافتراس ، وشريعة الظلم ، وشريعة العنصرية ، وشريعة الاعتداء . أما شريعة النور كما جاءت بها الرسالات السماوية في الإسلام وفي بقاياها غير المحرفة في مختلف الأديان فهي شريعة الحق ، وشريعة العدل ، وشريعة المسؤولية ، وشريعة الإخاء والتراحم والتكافل الإنساني ، وهي شريعة التقوى وحفظ الأرواح ، وشريعة أداء الأمانات وإنصاف المظلوم ، وعدم الإسراف والفساد ، باعتبار إنساني ودون أي اعتبار ذاتي أو قومي أو عنصري ، والقوة في هذه الشريعة للحق على عكس مقولة

المظالم والويلات والحروب ، وبما طورته من أسلحة الحروب والدمار الشامل ، وذلك على غير ما تقضي به قيم شريعة النور ومفاهيمها وأسسها التي جاءت بها رسالات السماء في الحقِّ والعدل والرحمة والتكافل .

إن الدرس المستفاد من هذه التأملات أن الإنسان يلتقي فيه سمو الروح والضمير كما يلتقي فيه انحطاط الشهوات والأهواء والطين ، وإن الروح تدفعه نحو الحقِّ والعدل ، بينما تدفعه حيوانيته الطينية نحو الشهوات والأهواء والظلم والعدوان ، ولكلٍّ واحدٍ من هذين القطبين شريعته ، فشريعة قطب الروح والنور الإلهي تجعل القوة للحق وتحض على الخير والعدل ، أما شريعة الطين فحيوانية الغاب ، وعدوانيته ، وهي تجعل الحقَّ للقوة ، وإن إنسان شريعة الغاب الطينية المادية يكون مجبولًا على الغلبة والعدوان والظلم .

الحق للقوة : شرعة الغرب المادي العنصري الاستعماري

ولذلك نجد الغرب حين انحرف عن شريعة النور وشوهها

المظالم والويلات والحروب ، وبما طورته من أسلحة الحروب والدمار الشامل ، وذلك على غير ما تقضي به قيم شريعة النور ومفاهيمها وأسسها التي جاءت بها رسالات السماء في الحقِّ والعدل والرحمة والتكافل .

إن الدرس المستفاد من هذه التأملات أن الإنسان يلتقي فيه سمو الروح والضمير كما يلتقي فيه انحطاط الشهوات والأهواء والطين ، وإن الروح تدفعه نحو الحقِّ والعدل ، بينما تدفعه حيوانيته الطينية نحو الشهوات والأهواء والظلم والعدوان ، ولكلٍّ واحدٍ من هذين القطبين شريعته ، فشريعة قطب الروح والنور الإلهي تجعل القوة للحق وتحض على الخير والعدل ، أما شريعة الطين فحيوانية الغاب ، وعدوانيته ، وهي تجعل الحقَّ للقوة ، وإن إنسان شريعة الغاب الطينية المادية يكون مجبولًا على الغلبة والعدوان والظلم .

الحق للقوة : شرعة الغرب المادي العنصري الاستعماري

ولذلك نجد الغرب حين انحرف عن شريعة النور وشوهها

الاعتبار للقوة التي تفرض – بكثير من المغالطة الفجَّة والتدليس القبيح – الأمرَ الواقعَ ، لا بقوة الحق ، بل بحق القوة ، وباسم دعاوى السياسة والحلول الوسط والأمر الواقع ، والمصالح القومية ، التي يفرضها منطق القوة ، فالتظالـمُ لديه يسمى سياسةً ومهارةً ، والانحلال والهبوط يسمى حريةً وتقدمًا وحضارةً ، ولا موضع في هذا الفكر وفي هذه الفلسفة – على الحقيقة – للحق والعدل مكانة وموضع ؛ لأن دليل شريعة الغاب وغايتها هو القوة والمصالح القومية ومطامعها الأنانية ، وقد وصف اللَّه ﷻ في القرآن الكريم هؤلاء الجاهليين الهمجيين أتباع شريعة الغاب ، وهو ما تمثلته في هذا العصر ما اقترفته الشعوب الغربية من الممارسات الاستعمارية غير الإنسانية ضد شعوب آسيا وأفريقيا والأمريكتين ، وهو عين ما نراه حتى اليوم من سياسات وممارسات الغرب ضد هذه الشعوب ، ولاسيما ما يجري على مدى ثلاثة أرباع قرن من الزمان من الممارسات الاستعمارية الوحشية الاستيطانية من قِبَلِ اليهودية الصهيونية العنصرية المدفوعة والمدعومة من قِبَلِ

الاعتبار للقوة التي تفرض – بكثير من المغالطة الفجَّة والتدليس القبيح – الأمرَ الواقعَ ، لا بقوة الحق ، بل بحق القوة ، وباسم دعاوى السياسة والحلول الوسط والأمر الواقع ، والمصالح القومية ، التي يفرضها منطق القوة ، فالتظالـمُ لديه يسمى سياسةً ومهارةً ، والانحلال والهبوط يسمى حريةً وتقدمًا وحضارةً ، ولا موضع في هذا الفكر وفي هذه الفلسفة – على الحقيقة – للحق والعدل مكانة وموضع ؛ لأن دليل شريعة الغاب وغايتها هو القوة والمصالح القومية ومطامعها الأنانية ، وقد وصف اللَّه ﷻ في القرآن الكريم هؤلاء الجاهليين الهمجيين أتباع شريعة الغاب ، وهو ما تمثلته في هذا العصر ما اقترفته الشعوب الغربية من الممارسات الاستعمارية غير الإنسانية ضد شعوب آسيا وأفريقيا والأمريكتين ، وهو عين ما نراه حتى اليوم من سياسات وممارسات الغرب ضد هذه الشعوب ، ولاسيما ما يجري على مدى ثلاثة أرباع قرن من الزمان من الممارسات الاستعمارية الوحشية الاستيطانية من قِبَلِ اليهودية الصهيونية العنصرية المدفوعة والمدعومة من قِبَلِ

سورة التوبة ﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [التوبة: ٨] وعلى الرغم من ذلك فإنه يجب ألا يغيب عن البال أن هذا تقويم للثقافة والفكر والحضارة الغالبة والتوجه العام للغرب في العصر الحديث ، الذي يرسم سياساته ويحدد توجهاته العنصرية الاستعمارية التي تبرر المظالم ، وتدفع إليها ، وتتقبلها بقحة وفجاجة ، وتجعلها تكيل - بلا مبالاة - بكيلين ، وليس ذلك تقويمًا للأفراد ولا للفئات التي تتعدد اتجاهاتها وقد تختلف قناعاتها وتتعارض جزءًا أو كلًّا مع التوجه الحيواني الاستعماري الصهيوني السائد في المجتمع ، لكنها في النهاية - مع الأسف حتى اليوم - وإن تعددت واختلفت إلا أن حجمها وتأثيرها لا يغير في الوقت الحاضر من التوجه العام الغالب في المجتمع وسياسات مؤسساته ، وعلى الرغم من ذلك فإن بعض هؤلاء الأفراد وهذه الفئات ما تزال تستمسك بشيء من قيم النور ونوازع الروح ، والتي يمكن أن تصبح في المستقبل - بإذن اللَّه - بذورًا للإصلاح والهداية

سورة التوبة ﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [التوبة: ٨] وعلى الرغم من ذلك فإنه يجب ألا يغيب عن البال أن هذا تقويم للثقافة والفكر والحضارة الغالبة والتوجه العام للغرب في العصر الحديث ، الذي يرسم سياساته ويحدد توجهاته العنصرية الاستعمارية التي تبرر المظالم ، وتدفع إليها ، وتتقبلها بقحة وفجاجة ، وتجعلها تكيل - بلا مبالاة - بكيلين ، وليس ذلك تقويمًا للأفراد ولا للفئات التي تتعدد اتجاهاتها وقد تختلف قناعاتها وتتعارض جزءًا أو كلًّا مع التوجه الحيواني الاستعماري الصهيوني السائد في المجتمع ، لكنها في النهاية - مع الأسف حتى اليوم - وإن تعددت واختلفت إلا أن حجمها وتأثيرها لا يغير في الوقت الحاضر من التوجه العام الغالب في المجتمع وسياسات مؤسساته ، وعلى الرغم من ذلك فإن بعض هؤلاء الأفراد وهذه الفئات ما تزال تستمسك بشيء من قيم النور ونوازع الروح ، والتي يمكن أن تصبح في المستقبل - بإذن اللَّه - بذورًا للإصلاح والهداية

نموِّ الشعوب ، بل وتدمير بعضها ، وإخراج من يتبقى منهم من ديارهم ، والعمل على استلابها واستلاب مواردها ، والحيلولة دون تحررها الاقتصادي والثقافي ، كل هذا لا يفهم إلا إذا فُهِمَ مدلولُ تخلي الغرب عن شرائع النور السماوية التي حُرِّفَتْ في دياناته ، والتي تجعل – في أصلها غير المحرف – القوةَ للحقِّ ، وتلحق المصالح والمكاسب بالمبادئ ، على عكس قانون افتراس الغاب الذي يجعل الحق للقوة ، ويلحق المبادئ بالمكاسب والمصالح ، فيغلب بذلك انحطاط الطين ونوازعه على سمو النور وأشواق الروح .

وحتى نفهم الأمور التي يصعب فهمها في فكر الغرب وسلوكه ، وفي فكر المسلمين وسلوكهم ، يجب علينا أن نفهم الشرائع التي يتبعها كل فريق، ونفهم توجهاته العقدية والمفاهيمية .

فإغراق الغرب في المادية والنهم المادي ، وجعله المادة غايته التي يلهث وراء الحصول عليها والاستمتاع بها ، وإغراقه في

نموِّ الشعوب ، بل وتدمير بعضها ، وإخراج من يتبقى منهم من ديارهم ، والعمل على استلابها واستلاب مواردها ، والحيلولة دون تحررها الاقتصادي والثقافي ، كل هذا لا يفهم إلا إذا فُهِمَ مدلولُ تخلي الغرب عن شرائع النور السماوية التي حُرِّفَتْ في دياناته ، والتي تجعل – في أصلها غير المحرف – القوةَ للحقِّ ، وتلحق المصالح والمكاسب بالمبادئ ، على عكس قانون افتراس الغاب الذي يجعل الحق للقوة ، ويلحق المبادئ بالمكاسب والمصالح ، فيغلب بذلك انحطاط الطين ونوازعه على سمو النور وأشواق الروح .

وحتى نفهم الأمور التي يصعب فهمها في فكر الغرب وسلوكه ، وفي فكر المسلمين وسلوكهم ، يجب علينا أن نفهم الشرائع التي يتبعها كل فريق، ونفهم توجهاته العقدية والمفاهيمية .

فإغراق الغرب في المادية والنهم المادي ، وجعله المادة غايته التي يلهث وراء الحصول عليها والاستمتاع بها ، وإغراقه في

كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ﴾ [محمد: ١٢] وقوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

قسوة الاستعمار والفاشية والصهيونية: لقاء الشيطان والحيوان

وثالثة الأثافي وداهية الدواهي حين تلتقي النار والطين، أو يلتقي الشيطان والحيوان في الإنسان، فيتجسد الشر والفساد في أبشع صوره، ويتعاظم الانحطاط والظلم والعدوان إلى الحد الذي لا تستطيع النفوس السوية تصور بعض ما تقدم عليه بعض تلك النفوس الشريرة التي جندت حيوانيتها في خدمة إبليس وطاقاته الشيطانية التدميرية – من الشناعات والقذارات وما ترتكبه من صنوف العنف والقسوة والنذالة والظلم والعدوان في حقوق الأبرياء والضعفاء.

إن هذا اللقاء بين النار والطين، والشيطان والحيوان، في بعض النفوس، وفي بعض الأمم، هو الذي يفسر لنا في الواقع

كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ﴾ [محمد: ١٢] وقوله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٩] .

قسوة الاستعمار والفاشية والصهيونية : لقاء الشيطان والحيوان

وثالثة الأثافي وداهية الدواهي حين تلتقي النار والطين ، أو يلتقي الشيطان والحيوان في الإنسان ، فيتجسد الشر والفساد في أبشع صوره ، ويتعاظم الانحطاط والظلم والعدوان إلى الحد الذي لا تستطيع النفوس السوية تصور بعض ما تقدم عليه بعض تلك النفوس الشريرة التي جندت حيوانيتها في خدمة إبليس وطاقاته الشيطانية التدميرية – من الشناعات والقذارات وما ترتكبه من صنوف العنف والقسوة والنذالة والظلم والعدوان في حقوق الأبرياء والضعفاء .

إن هذا اللقاء بين النار والطين ، والشيطان والحيوان ، في بعض النفوس ، وفي بعض الأمم ، هو الذي يفسر لنا في الواقع

الحرب والدمار الشامل في اختراعاتها ، وصنعها وتكديسها واحتكارها وترويج تجارتها واستخدامها في غير رحمة ولا هوادة حتى ضد المظلومين وطلاب العدل والحرية ، ورجال المقاومة ودعاة التحرر من القهر والاستغلال والاستعمار .

﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [الأعراف : ١٧٥- ١٧٨] ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان : ٤٣- ٤٤] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ

الحرب والدمار الشامل في اختراعاتها ، وصنعها وتكديسها واحتكارها وترويج تجارتها واستخدامها في غير رحمة ولا هوادة حتى ضد المظلومين وطلاب العدل والحرية ، ورجال المقاومة ودعاة التحرر من القهر والاستغلال والاستعمار .

﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [الأعراف : ١٧٥- ١٧٨] ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان : ٤٣- ٤٤] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ

يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [الروم: ٧- ١٢] ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾ [الشورى: ٢٠] ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [آل عمران: ١٧٨] ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴾ [الكهف: ٥٨- ٥٩] ﴿ قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴾ [مريم: ٧٥] ﴿ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ [لقمان: ٢٣- ٢٤] .

﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ

يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [الروم: ٧- ١٢] ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾ [الشورى: ٢٠] ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [آل عمران: ١٧٨] ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴾ [الكهف: ٥٨- ٥٩] ﴿ قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴾ [مريم: ٧٥] ﴿ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ [لقمان: ٢٣- ٢٤] .

﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ

فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦- ٢٨] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ ﴾ [النور: ٢١] ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [لقمان: ٢١] ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴾ [النساء: ١١٩- ١٢١] .

﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٣- ٤٤] ﴿ وَٱلَّذِينَ

فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦- ٢٨] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ ﴾ [النور: ٢١] ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [لقمان: ٢١] ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴾ [النساء: ١١٩- ١٢١] .

﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٣- ٤٤] ﴿ وَٱلَّذِينَ

وقيمه وغاياته ومقاصده الروحانية العليا ، وتجسيدها ، فيسمو الإنسان بذاته وبالمادة وتكون المادة حينئذٍ وسيلة نورانية خيِّرة ، هذا من ناحية ، وثانيًا بين ما تنزع إليه نفوسهم – وعلى شاكلة فكر الغرب ومفاهيمه – من الرغبة في الحصول على الوفرة المادية المعيشية التي تدفع إليها حاجة الجسد الطيني ونوازعه الحيوانية وما يصحبها من المتعِ والراحةِ من ناحية ، ولكن جهودهم بسبب غبش الرؤية بشأن منطلقاتهم وغايات شريعتهم بشأن المادة ، وهل هي وسيلة أم غاية ؟ لذلك كانوا تلاميذ فاشلين في تتلمذهم على الغرب دون إرادة أو عزم على غير حال أمم أخرى كاليابان وتتلمذت بعدهم ولذلك ما يزال سعي المسلمين حتى اليوم في تحقيق التقدم المادي يمنى بالفشل ، وما تزال شعوبهم لا تستجيب ، ولا تتحرك فيها كوامن العزم والطاقة ؛ لأنه لابد من وضوح رؤية هذه الشعوب في أمر المادة من منطلق الإسلام في أنها وسيلة ضرورية لتحقيق الغايات الروحية العليا من خلال المادة والوجود والعيش الحياتي المادي .

وقيمه وغاياته ومقاصده الروحانية العليا ، وتجسيدها ، فيسمو الإنسان بذاته وبالمادة وتكون المادة حينئذٍ وسيلة نورانية خيِّرة ، هذا من ناحية ، وثانيًا بين ما تنزع إليه نفوسهم – وعلى شاكلة فكر الغرب ومفاهيمه – من الرغبة في الحصول على الوفرة المادية المعيشية التي تدفع إليها حاجة الجسد الطيني ونوازعه الحيوانية وما يصحبها من المتعِ والراحةِ من ناحية ، ولكن جهودهم بسبب غبش الرؤية بشأن منطلقاتهم وغايات شريعتهم بشأن المادة ، وهل هي وسيلة أم غاية ؟ لذلك كانوا تلاميذ فاشلين في تتلمذهم على الغرب دون إرادة أو عزم على غير حال أمم أخرى كاليابان وتتلمذت بعدهم ولذلك ما يزال سعي المسلمين حتى اليوم في تحقيق التقدم المادي يمنى بالفشل ، وما تزال شعوبهم لا تستجيب ، ولا تتحرك فيها كوامن العزم والطاقة ؛ لأنه لابد من وضوح رؤية هذه الشعوب في أمر المادة من منطلق الإسلام في أنها وسيلة ضرورية لتحقيق الغايات الروحية العليا من خلال المادة والوجود والعيش الحياتي المادي .

يجب أن يكون أكثر جدية في تعامله مع المادة والأخذ بأسبابها، لتحقيق قيم الخير وغاياته، وتجسيدها في رحلة الحياة؛ لأنه دون المادة لا يمكن تحقيق تلك الغايات، ولا تجسيد تلك المقاصد والقيم، والمادة حين تجسد معاني الخير والحق والجمال وشريعة النور فإنها تسمو وتصبح خيرًا ونعمة ورقيًّا وتقدمًا، أما إذا أصبحت غاية في حدِّ ذاتها، وأصبحت تجسيدًا لغايات شريعة الغاب والظلم والعدوان والعنصرية والشرك والإلحاد فإنها تكون عند ذلك في الحقيقة ظلمًا وشرًّا وفسادًا في الأرض، وخداعًا وسرابًا وهوًى وشهواتٍ، يقول اللَّه ﷻ: ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾ [البقرة: ١٤٨] ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴾ [النساء: ٦٦] ﴿ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ [سبأ: ١٣] ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف: ٣].

ويقول اللَّه ﷻ: ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ

يجب أن يكون أكثر جدية في تعامله مع المادة والأخذ بأسبابها، لتحقيق قيم الخير وغاياته، وتجسيدها في رحلة الحياة؛ لأنه دون المادة لا يمكن تحقيق تلك الغايات، ولا تجسيد تلك المقاصد والقيم، والمادة حين تجسد معاني الخير والحق والجمال وشريعة النور فإنها تسمو وتصبح خيرًا ونعمة ورقيًّا وتقدمًا، أما إذا أصبحت غاية في حدِّ ذاتها، وأصبحت تجسيدًا لغايات شريعة الغاب والظلم والعدوان والعنصرية والشرك والإلحاد فإنها تكون عند ذلك في الحقيقة ظلمًا وشرًّا وفسادًا في الأرض، وخداعًا وسرابًا وهوًى وشهواتٍ، يقول اللَّه ﷻ: ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾ [البقرة: ١٤٨] ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴾ [النساء: ٦٦] ﴿ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ [سبأ: ١٣] ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف: ٣].

ويقول اللَّه ﷻ: ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ

فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾ [إبراهيم: ٣٢- ٣٣] ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ [لقمان: ٢٠] ﴿ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٦] ﴿ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾ [يس: ٢٦] ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأعراف: ٣١] .

فإذا أراد المسلم أن ينجح في السباق الحضاري للأمم فإنه لابدَّ له من أن يفهم منطلقاته العقدية دون غبش ، وأن يتعامل مع المادة والحاجة المعيشية بصفتها وسيلة من أجل تحقيق غايته الروحانية الأبدية الكبرى في بناء حضارة الحق ، وتجسيد مجتمع التعاون والعدل والفضيلة والتكافل الإنساني الصادق ، وإلا فإنه لن يستطيع أن يأخذ الحياة مأخذ الجد ، ولن يكون خليفة مُصْلِحًا مبدعًا ، ولن ينجح في مسعاه في هذا السباق

فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾ [إبراهيم: ٣٢- ٣٣] ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ [لقمان: ٢٠] ﴿ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٦] ﴿ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾ [يس: ٢٦] ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأعراف: ٣١] .

فإذا أراد المسلم أن ينجح في السباق الحضاري للأمم فإنه لابدَّ له من أن يفهم منطلقاته العقدية دون غبش ، وأن يتعامل مع المادة والحاجة المعيشية بصفتها وسيلة من أجل تحقيق غايته الروحانية الأبدية الكبرى في بناء حضارة الحق ، وتجسيد مجتمع التعاون والعدل والفضيلة والتكافل الإنساني الصادق ، وإلا فإنه لن يستطيع أن يأخذ الحياة مأخذ الجد ، ولن يكون خليفة مُصْلِحًا مبدعًا ، ولن ينجح في مسعاه في هذا السباق

وطيبِه من خبيثِه ، مع حيرتهم وترددهم بين الأخذ – بوعي – بالجيد مما لديهم واقتباس الجديد المناسب لهم مما لدى غيرهم[1] أو الأخذ الأعمى المنبهر بما لدى الآخرين ، هذا الغبش والتردد يُعَدُّ من أهم أسباب فشلهم وتخلفهم ؛ لأنهم بذلك لا يأخذون الحياة والسعي في سبلها بقوة وعزم ، وذلك يعد من أكبر المعوقات أمام نهضة الأمة ، وأشدها إعاقةً لحركة الإصلاح فيها ؛ لأنها تحول دون تفجير طاقاتها ، ودون انطلاق مسيرتها ، وتحد من قدرتها ، وتقف حجر عثرة أمام تمكينها من أداء رسالتها الإنسانية الخيِّرَة .

---

(١) كثير من القيم والمفاهيم هي مفاهيم معيبة وهدامة إنسانيًا وحضاريًا إذا حُصِرَتْ ضمن الدائرة الأنانية العنصرية القومية ، ومنها التكافل والتضامن ، حيث تصبح إيجابية حضارية بناءة إذا أُخرِجَتْ إلى الدائرة الإنسانية ، وذلك هو المفهوم الإسلامي الذي يحقق الإخاء والتراحم والسلام والأمن الإنساني ، كما أن من المهم للفكر والحضارة الإسلامية الاهتمام بجانب الآليات والوسائل ، خاصة في بناء المؤسسات ، ومنها مثلًا مؤسسة المجالس النيابية ، وآليتها ، وفصل السلطات ، والانتخابات ، مع الحاجة إلى تطويرها بما يحد من التأثير السلبي للمال والمصالح الخاصة ، ومنها كذلك المؤسسات والمنظمات الدولية المعنية بالسلام والأمن الدوليين .

وطيبِه من خبيثِه ، مع حيرتهم وترددهم بين الأخذ – بوعي – بالجيد مما لديهم واقتباس الجديد المناسب لهم مما لدى غيرهم[1] أو الأخذ الأعمى المنبهر بما لدى الآخرين ، هذا الغبش والتردد يُعَدُّ من أهم أسباب فشلهم وتخلفهم ؛ لأنهم بذلك لا يأخذون الحياة والسعي في سبلها بقوة وعزم ، وذلك يعد من أكبر المعوقات أمام نهضة الأمة ، وأشدها إعاقةً لحركة الإصلاح فيها ؛ لأنها تحول دون تفجير طاقاتها ، ودون انطلاق مسيرتها ، وتحد من قدرتها ، وتقف حجر عثرة أمام تمكينها من أداء رسالتها الإنسانية الخيِّرَة .

---

(١) كثير من القيم والمفاهيم هي مفاهيم معيبة وهدامة إنسانيًا وحضاريًا إذا حُصِرَتْ ضمن الدائرة الأنانية العنصرية القومية ، ومنها التكافل والتضامن ، حيث تصبح إيجابية حضارية بناءة إذا أُخرِجَتْ إلى الدائرة الإنسانية ، وذلك هو المفهوم الإسلامي الذي يحقق الإخاء والتراحم والسلام والأمن الإنساني ، كما أن من المهم للفكر والحضارة الإسلامية الاهتمام بجانب الآليات والوسائل ، خاصة في بناء المؤسسات ، ومنها مثلًا مؤسسة المجالس النيابية ، وآليتها ، وفصل السلطات ، والانتخابات ، مع الحاجة إلى تطويرها بما يحد من التأثير السلبي للمال والمصالح الخاصة ، ومنها كذلك المؤسسات والمنظمات الدولية المعنية بالسلام والأمن الدوليين .

عامة ، قبل فوات الأوان .

إن وضوح رؤية المسلم لطبيعته الإنسانية وما فيها من صراع بين الروح والطين ، والنور والظلام ، والحق والباطل ، والعدل والظلم ، ومن تربص إبليس به وما عليه من مسؤولية الصلاح في النفس والإصلاح في الأرض ، هو أمر أساس لإصلاح الذات ، ومواجهة تحديات حضارة الغرب ومظالم شريعة الغاب ، بقصد التأثير والتعامل الإيجابي الفعال معها ، والتمكن من القوة والقدرة العلمية التكنولوجية ، التي تتسلح بها ، والعمل – في الوقت نفسه ، وبالتعاون مع كل عناصر الخير والسلام والأمن الإنساني في الشرق والغرب – على إقامة مجتمع دولي تسوده شريعة النور والحق والعدل ، لا شريعة الغاب العنصرية الظالمة ، التي جرَّت الإنسانيةَ إلى الحروب العالمية والإقليمية والمحلية الظالمة المدمرة .

إن على المسلم وأتباع شرائع النور السماوية معرفة أنهم بشفافية الروح ونورانيتها في مواجهة شريعة الغاب بظلاميتها

عامة ، قبل فوات الأوان .

إن وضوح رؤية المسلم لطبيعته الإنسانية وما فيها من صراع بين الروح والطين ، والنور والظلام ، والحق والباطل ، والعدل والظلم ، ومن تربص إبليس به وما عليه من مسؤولية الصلاح في النفس والإصلاح في الأرض ، هو أمر أساس لإصلاح الذات ، ومواجهة تحديات حضارة الغرب ومظالم شريعة الغاب ، بقصد التأثير والتعامل الإيجابي الفعال معها ، والتمكن من القوة والقدرة العلمية التكنولوجية ، التي تتسلح بها ، والعمل – في الوقت نفسه ، وبالتعاون مع كل عناصر الخير والسلام والأمن الإنساني في الشرق والغرب – على إقامة مجتمع دولي تسوده شريعة النور والحق والعدل ، لا شريعة الغاب العنصرية الظالمة ، التي جرَّت الإنسانيةَ إلى الحروب العالمية والإقليمية والمحلية الظالمة المدمرة .

إن على المسلم وأتباع شرائع النور السماوية معرفة أنهم بشفافية الروح ونورانيتها في مواجهة شريعة الغاب بظلاميتها

الطين الخامد المنحط الخالي من الروح بقذارته وشهواته وتعدياته ومظالمه – وهي نقيض شريعة الروح بأشواقها ومعانيها وقيمها وتساميها ؛ ولذلك لابد لأتباع شريعة النور من امتلاك القوة ، لأن القوة وسيلة ضرورية لكافة أطراف التدافع البشري ، ولكن تختلف الغاية من القوة بين شريعة النور وشريعة الغاب ، فشريعة النور تسخرها للحق والعدل ، وشريعة الغاب تسخرها للقهر والظلم .

إن خلاص الإنسانية التي تَلَغُ اليوم في دمائها مخالبُ شريعةِ الغابِ ، وتمزقُها أنيابُ قوى الغشم والتسلطِ الاستعماري ، وتتفجرُ فيها ردودُ الفعلِ العنيفة بسبب ما أصاب كثير من أبناء الأمة الإسلامية وسواهم من الأمم المستضعفة من تحقيق العدل وما يعانون منه من غلبة قوى القهر والظلم ، الناجم عن الروح العنصرية الحيوانية السائدة في السياسات الدولية للدول الغربية ، والتي نشهد أبشع صورها على أرض القداسات في فلسطين ، وفي كثير من ديار المسلمين وبقية شعوب المستضعفين ، وهو

الطين الخامد المنحط الخالي من الروح بقذارته وشهواته وتعدياته ومظالمه – وهي نقيض شريعة الروح بأشواقها ومعانيها وقيمها وتساميها ؛ ولذلك لابد لأتباع شريعة النور من امتلاك القوة ، لأن القوة وسيلة ضرورية لكافة أطراف التدافع البشري ، ولكن تختلف الغاية من القوة بين شريعة النور وشريعة الغاب ، فشريعة النور تسخرها للحق والعدل ، وشريعة الغاب تسخرها للقهر والظلم .

إن خلاص الإنسانية التي تَلَغُ اليوم في دمائها مخالبُ شريعةِ الغابِ ، وتمزقُها أنيابُ قوى الغشم والتسلطِ الاستعماري ، وتتفجرُ فيها ردودُ الفعلِ العنيفة بسبب ما أصاب كثير من أبناء الأمة الإسلامية وسواهم من الأمم المستضعفة من تحقيق العدل وما يعانون منه من غلبة قوى القهر والظلم ، الناجم عن الروح العنصرية الحيوانية السائدة في السياسات الدولية للدول الغربية ، والتي نشهد أبشع صورها على أرض القداسات في فلسطين ، وفي كثير من ديار المسلمين وبقية شعوب المستضعفين ، وهو

إن علينا أن نذكر أن انسلاخ الشعوب الغربية عن الرسالات السماوية النورانية هو بسبب ما أصاب هذه الرسالات تاريخيًّا من تحريف ومؤسساتها الدينية من فساد ولذلك فجملة عامتهم لا تعرف في الجوهر حقيقة الإسلام والأديان السماوية وهم بذلك – على غير حال جل صناع السياسة والقرار فيهم الذين سيطرت عليهم وعلى أنظمتهم السياسية فئات من المعاندين وأصحاب المصالح والأطماع الخاصة – يُعتبرون شعوبًا مُضللة يجب على الدعاة وخاصة من المسلمين من مواطنيهم وأبناء جلدتهم الاجتهاد في دعوة هذه الشعوب وتبصيرهم بشريعة العدل الإلهية الروحية النورانية لمصلحة الإنسان وهدايته ، وكل ذلك مما يضاعف مسئولية المسلمين في فهم شريعتهم وتمثلها وإصلاح حالهم بها وتيسير سبل الدعوة والبلاغ عنها إلى الإنسانية وتعديل مسار حضارتها وتجنيبها ويلات الفساد والدمار التي تسير بها في خطى حثيثة إلى قعر الهاوية .

= والمنهجية » د . عبد الحميد أحمد أبو سليمان ترجمة د . ناصر أحمد المرشد البراك – الرياض – المملكة العربية السعودية .

إن علينا أن نذكر أن انسلاخ الشعوب الغربية عن الرسالات السماوية النورانية هو بسبب ما أصاب هذه الرسالات تاريخيًّا من تحريف ومؤسساتها الدينية من فساد ولذلك فجملة عامتهم لا تعرف في الجوهر حقيقة الإسلام والأديان السماوية وهم بذلك – على غير حال جل صناع السياسة والقرار فيهم الذين سيطرت عليهم وعلى أنظمتهم السياسية فئات من المعاندين وأصحاب المصالح والأطماع الخاصة – يُعتبرون شعوبًا مُضللة يجب على الدعاة وخاصة من المسلمين من مواطنيهم وأبناء جلدتهم الاجتهاد في دعوة هذه الشعوب وتبصيرهم بشريعة العدل الإلهية الروحية النورانية لمصلحة الإنسان وهدايته ، وكل ذلك مما يضاعف مسئولية المسلمين في فهم شريعتهم وتمثلها وإصلاح حالهم بها وتيسير سبل الدعوة والبلاغ عنها إلى الإنسانية وتعديل مسار حضارتها وتجنيبها ويلات الفساد والدمار التي تسير بها في خطى حثيثة إلى قعر الهاوية .

= والمنهجية » د . عبد الحميد أحمد أبو سليمان ترجمة د . ناصر أحمد المرشد البراك – الرياض – المملكة العربية السعودية .

ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾ [الأحقاف: ٢٠] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ [النساء: ٥٨] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٩٠] ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة: ٨] ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [النساء: ١٣٥] ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَـٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ

ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ نَفْسُقُونَ ﴾ [الأحقاف: ٢٠] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ [النساء: ٥٨] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٩٠] ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة: ٨] ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [النساء: ١٣٥] ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَـٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ

﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴾ [الماعون: ١- ٧] ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ۝٤٢ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ۝٤٣ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ۝٤٤ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ۝٤٥ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ [المدثر: ٤٢- ٤٦] ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ۝٢٢ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴾ [محمد: ٢٢- ٢٣] ﴿ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ [النساء: ١٤٨] : ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾ [البقرة: ٢٦٨] ﴿ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٨] ﴿ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ [النور: ٢١] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ١٩] ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ [الأنعام: ١٥١] ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٠]

﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴾ [الماعون: ١- ٧] ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ۝٤٢ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ۝٤٣ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ۝٤٤ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ۝٤٥ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ [المدثر: ٤٢- ٤٦] ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ۝٢٢ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴾ [محمد: ٢٢- ٢٣] ﴿ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ [النساء: ١٤٨] : ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾ [البقرة: ٢٦٨] ﴿ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٨] ﴿ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ [النور: ٢١] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ١٩] ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ [الأنعام: ١٥١] ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٠]

بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٢] .

ويقول ﷻ : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ [الأنعام: ١١٥- ١١٦] ﴿ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَـٰسِبِينَ ﴾ [الأنعام: ٦٢] ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَـٰصِلِينَ ﴾ [الأنعام: ٥٧] .

مفتاح التعامل مع الآخر : المعرفة المنهجية ومراكز وأقسام دراسة الغرب

لقد أنشأ الغرب الدراسات الاستشراقية [١] بهدف فهم الشعوب الأخرى ، إلا أن ذلك قد تم بروح قانون الغاب

(١) من العجيب أن يطلق على الجواسيس والمخربين من اليهود الصهاينة الإسرائيليين الذين يدرسون اللغة والثقافة العربية اسم (المستعربين) . وهم ليسوا مستعربين ولا ينتمون إلى العروبة ، ولا يمتون إليها بصلة ، ولكنهم أعداء مندسون . والأولى تسميتهم (الْمُعَوْرَبِين) على وزن (المعجرمين ، والمعجرفين ، والمقولبين) الذين أُقحموا كيدًا ودسًّا بين صفوف جماهير العرب المستضعفين .

بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٢] .

ويقول ﷻ : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ [الأنعام: ١١٥- ١١٦] ﴿ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴾ [الأنعام: ٦٢] ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴾ [الأنعام: ٥٧] .

مفتاح التعامل مع الآخر : المعرفة المنهجية ومراكز وأقسام دراسة الغرب

لقد أنشأ الغرب الدراسات الاستشراقية [١] بهدف فهم الشعوب الأخرى ، إلا أن ذلك قد تم بروح قانون الغاب

(١) من العجيب أن يطلق على الجواسيس والمخربين من اليهود الصهاينة الإسرائيليين الذين يدرسون اللغة والثقافة العربية اسم (المستعربين) . وهم ليسوا مستعربين ولا ينتمون إلى العروبة ، ولا يمتون إليها بصلة ، ولكنهم أعداء مندسون . والأولى تسميتهم (الْمُعَوْرَبِين) على وزن (المعجرمين ، والمعجرفين ، والمقولبين) الذين أُقحموا كيدًا ودسًّا بين صفوف جماهير العرب المستضعفين .

على مقدرات العالم الإسلامي والأفريقي ، ويمزقها أوصالًا ، وذلك بقيام الاتحاد الأوروبي إلى جانب الاتحاد الأمريكي ، والاتحاد الروسي والهندي والصيني ، مما يجعل العالم الإسلامي والأفريقي التائه الممزق المتصارع فريسة للطامعين وللصياد الغربي وشركائه ولكلب صيده الصهيوني ، الذي هو في الحقيقة كلب متوحش وذئب غادر شرس له أطماعه الخاصة ، يجر على صاحبه الويلات ، وينهش قبل صاحبه الفريسةَ ، ولا يتورع عن نهش صاحبه الصياد [1] ذاته ، ولما كان لابد للصياد من فريسة ، هي العالم الإسلامي وعالم الجنوب فلن يقبل الصياد من الفريسة أن تقوم بدور كلب الصيد ، وهو ما يتوهمه الكثيرون بسبب ماهم عليه من حال الضعف ، آملين

(١) لم يتورع الكلب الصهيوني المتوحش عن نهش صاحبه « الغرب » وهو بعد في يرقته ، ومن ذلك على سبيل المثال تفجير « فندق الملك داوود » ، وإغراق السفينة « ليبرتي » الأمريكية ، ومؤامرة « لافون » لقتل السفير الأمريكي في القاهرة ، وفضيحة الجاسوس اليهودي الصهيوني الأمريكي « بولارد » ، وسوى ذلك من المنشور من فضائح التجسس والمتاجرة الصهيونية الإسرائيلية مع الأعداء بأسرار الأسياد كثيرة ، وما خفي كان أعظم .

على مقدرات العالم الإسلامي والأفريقي ، ويمزقها أوصالًا ، وذلك بقيام الاتحاد الأوروبي إلى جانب الاتحاد الأمريكي ، والاتحاد الروسي والهندي والصيني ، مما يجعل العالم الإسلامي والأفريقي التائه الممزق المتصارع فريسة للطامعين وللصياد الغربي وشركائه ولكلب صيده الصهيوني ، الذي هو في الحقيقة كلب متوحش وذئب غادر شرس له أطماعه الخاصة ، يجر على صاحبه الويلات ، وينهش قبل صاحبه الفريسةَ ، ولا يتورع عن نهش صاحبه الصياد [1] ذاته ، ولما كان لابد للصياد من فريسة ، هي العالم الإسلامي وعالم الجنوب فلن يقبل الصياد من الفريسة أن تقوم بدور كلب الصيد ، وهو ما يتوهمه الكثيرون بسبب ماهم عليه من حال الضعف ، آملين

(١) لم يتورع الكلب الصهيوني المتوحش عن نهش صاحبه « الغرب » وهو بعد في يرقته ، ومن ذلك على سبيل المثال تفجير « فندق الملك داوود » ، وإغراق السفينة « ليبرتي » الأمريكية ، ومؤامرة « لافون » لقتل السفير الأمريكي في القاهرة ، وفضيحة الجاسوس اليهودي الصهيوني الأمريكي « بولارد » ، وسوى ذلك من المنشور من فضائح التجسس والمتاجرة الصهيونية الإسرائيلية مع الأعداء بأسرار الأسياد كثيرة ، وما خفي كان أعظم .

جرى بين الحربين في ألمانيا وأمريكا دروس من الخطأ للصهيونية بما سببته ، وسوف تسببه للغرب من معاناة وإنهاك في العالم الإسلامي وعالم الجنوب تجاهلها أو نسيانها أو تجاهل ونسيان ما سبقها من تجارب نَـهَـمِهِم وتآمرهم وسعيهم بالظلم والفساد في الأرض ، منذ عهد الرومان وما قبل عهد الرومان وحتى يومنا هذا .

وإذا ما عرف المسلمون طريقهم ، وإذا ما صدقت جهود الإصلاح ، وصحَّت بها عزائمهم في الدعوة إلى اللَّه في بلاد الغرب ، فلعل ما بقي في النفوس من نوازع الروح ودوافع الفطرات السليمة يمكِّن لشريعة النور فيها ، ويعين على إعادة هذه الشعوب إلى طريق النور والعدل ، وليس ذلك على اللَّه بعزيز . ولا مخرج للعالم الإسلامي والأفريقي مستقبلًا حتى يحرر نفسه ، ويسترد حقوقه وكرامته ، ويسهم في عطاء الحضارة الإنسانية ، إلا أن يقف على قدميه بقدرةٍ واقتدارٍ ، وليكون ندًّا وشريكًا داعمًا لقوى الخير والإصلاح .

لقد بدأت الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا منذ سنوات

جرى بين الحربين في ألمانيا وأمريكا دروس من الخطأ للصهيونية بما سببته ، وسوف تسببه للغرب من معاناة وإنهاك في العالم الإسلامي وعالم الجنوب تجاهلها أو نسيانها أو تجاهل ونسيان ما سبقها من تجارب نَـهَـمِهِم وتآمرهم وسعيهم بالظلم والفساد في الأرض ، منذ عهد الرومان وما قبل عهد الرومان وحتى يومنا هذا .

وإذا ما عرف المسلمون طريقهم ، وإذا ما صدقت جهود الإصلاح ، وصحَّت بها عزائمهم في الدعوة إلى اللَّه في بلاد الغرب ، فلعل ما بقي في النفوس من نوازع الروح ودوافع الفطرات السليمة يمكِّن لشريعة النور فيها ، ويعين على إعادة هذه الشعوب إلى طريق النور والعدل ، وليس ذلك على اللَّه بعزيز . ولا مخرج للعالم الإسلامي والأفريقي مستقبلًا حتى يحرر نفسه ، ويسترد حقوقه وكرامته ، ويسهم في عطاء الحضارة الإنسانية ، إلا أن يقف على قدميه بقدرةٍ واقتدارٍ ، وليكون ندًّا وشريكًا داعمًا لقوى الخير والإصلاح .

لقد بدأت الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا منذ سنوات

﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ ﴾ [البقرة: ٢٥٦] ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ [النحل: ١٢٥] ﴿ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ۝٨ إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الممتحنة: ٨- ٩] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [المائدة: ٨] ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٠] .

﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ ﴾ [البقرة: ٢٥٦] ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ [النحل: ١٢٥] ﴿ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ۝٨ إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الممتحنة: ٨- ٩] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [المائدة: ٨] ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٠] .

واستقرارها ، فتكون بذلك الرائد والقائد إلى الخير والسلام بالقدوة والحكمة والموعظة والدعوة إلى سبيل النور والأمن والسلام بالتي هي أحسن ، تسندها القوة والقدرة لحماية البيضة ، وإحقاق الحق ، والذود عن المستضعفين .

ليس لكل سؤال جواب

أما لماذا التقى عالما الروحِ والمادةِ في الإنسان ، وما دلالة هذا الصراع بينهما والذي يرتقي به بعضهم - بما كسبت أيدي العاملين - إلى أمان الصفاء الروحي والنعيم الأبدي ، فيما ينحط به بعضهم الآخر - بما كسبت أيدي المجرمين - إلى الشقاء والعذاب المقيم ؟ وما دلالة هذا الصراع الذي به تكدح الأرواح في صراعها مع الأهواء والشهوات ؟ وكيف يمكن لمخلوق أن تكون له ، وهو كله مخلوق إرادة حرة مسؤولة ؟ كل هذه الأسئلة لا تسهل الإجابة عنها ، ولكننا نعلم أنه من خلال هذا الكدح تُعَبِّدُ النفوسُ ذواتَها ، فتهتدي بالنور إلى الحق . كما أننا نعلم في نفوسنا أن الإنسان وهو النفس

واستقرارها ، فتكون بذلك الرائد والقائد إلى الخير والسلام بالقدوة والحكمة والموعظة والدعوة إلى سبيل النور والأمن والسلام بالتي هي أحسن ، تسندها القوة والقدرة لحماية البيضة ، وإحقاق الحق ، والذود عن المستضعفين .

ليس لكل سؤال جواب

أما لماذا التقى عالما الروحِ والمادةِ في الإنسان ، وما دلالة هذا الصراع بينهما والذي يرتقي به بعضهم - بما كسبت أيدي العاملين - إلى أمان الصفاء الروحي والنعيم الأبدي ، فيما ينحط به بعضهم الآخر - بما كسبت أيدي المجرمين - إلى الشقاء والعذاب المقيم ؟ وما دلالة هذا الصراع الذي به تكدح الأرواح في صراعها مع الأهواء والشهوات ؟ وكيف يمكن لمخلوق أن تكون له ، وهو كله مخلوق إرادة حرة مسؤولة ؟ كل هذه الأسئلة لا تسهل الإجابة عنها ، ولكننا نعلم أنه من خلال هذا الكدح تُعَبِّدُ النفوسُ ذواتَها ، فتهتدي بالنور إلى الحق . كما أننا نعلم في نفوسنا أن الإنسان وهو النفس

المعاني ذات الدلالة في بعض هذه المجالات ، ومنها لقاء الروح والنور مع المادة والطين ، في كيان الإنسان ، والغاية منه ، وهو ما يجعل الإنسان ذاته ساحةَ الصراع بين النور والظلمة ، وبين الهدى والضلال ، وبين الخير والشر ، وبين الطاعة والمعصية ، وبين الروح والمادة ، وبين الطهارة والقذارة ، وبين الملاك والحيوان ، وبين الرحمن والشيطان . فنرى من خلال هذا اللقاء والصراع والتوجه والتدافع كيف يتجسد النور والحق والعدل في المادة الطينية ، فتصبح المعاني حقائق مادية ماثلة أمام عيان الإنسان ، وكيف يجسِّد الطينُ معانيَ الخيرِ والحق والجمال ويبرزها أعمالًا في صور مادية طينية تأسر القلوب وتأخذ بالألباب ، فَتُلقي المعاني على المادة صور الطهارة والإبداع والجمال ، ونرى بهذا اللقاء ومن خلاله كيف تصبح معاني النور والحق والعدل والرحمة صورًا وأشكالًا حقيقةً ماديةً ملموسةً ، فيها تتحول المادة والطين إلى قيم وصور سامية بتلبسها معاني النور والحق والعدل والجمال ، لتصبح واقعًا قائمًا ملموسًا في حياة الناس وممارساتهم .

المعاني ذات الدلالة في بعض هذه المجالات ، ومنها لقاء الروح والنور مع المادة والطين ، في كيان الإنسان ، والغاية منه ، وهو ما يجعل الإنسان ذاته ساحةَ الصراع بين النور والظلمة ، وبين الهدى والضلال ، وبين الخير والشر ، وبين الطاعة والمعصية ، وبين الروح والمادة ، وبين الطهارة والقذارة ، وبين الملاك والحيوان ، وبين الرحمن والشيطان . فنرى من خلال هذا اللقاء والصراع والتوجه والتدافع كيف يتجسد النور والحق والعدل في المادة الطينية ، فتصبح المعاني حقائق مادية ماثلة أمام عيان الإنسان ، وكيف يجسِّد الطينُ معانيَ الخيرِ والحق والجمال ويبرزها أعمالًا في صور مادية طينية تأسر القلوب وتأخذ بالألباب ، فَتُلقي المعاني على المادة صور الطهارة والإبداع والجمال ، ونرى بهذا اللقاء ومن خلاله كيف تصبح معاني النور والحق والعدل والرحمة صورًا وأشكالًا حقيقةً ماديةً ملموسةً ، فيها تتحول المادة والطين إلى قيم وصور سامية بتلبسها معاني النور والحق والعدل والجمال ، لتصبح واقعًا قائمًا ملموسًا في حياة الناس وممارساتهم .

الجمال ، وتفارقها ، لتصبح قطعًا من طينٍ عفنٍ ، ونفاياتٍ وحفنًا من تراب .

فما أروع الطين حين يلتقي بالنور ويجسد معانيه في الخير والحق والجمال ، وما أروع النور وهو يتبدى ويتجسد من خلال المادة والطين ، فينتصر الحق ويسود ، ويتبدى الجمال ويتألق ، ويتجسد النور ويشعشع ، ويسمو بذلك ما بين جوانح الإنسان من الحيوان ، ويزكو ما يغلف روحه من الطين .

وما أوتيتم من العلم إلا قليلًا

أما ما السر الأعظم والدلالة الأبعد لهذا اللقاء بين الروح والمادة ؟ وما الغاية من ذلك ؟ وما الدلالة الأسمى لما يدور بينهما في كيان الإنسان وفي إرادته من صراع ؟ وما الذي ينتج – على وجه الحقيقة – عن ذلك التمثل والتجسد الذي تكدح فيه الأرواح إلى بارئها وتُعَبِّدُ بهما – قدر طاقاتها – ذواتها وتنتصر وتهذب نزواتِها وشهواتِها الحيوانية الطينية ؟ ولاشكَّ أن ذلك كله – فيما يبدو لنا في حدود سقفنا المعرفي – هو من

الجمال ، وتفارقها ، لتصبح قطعًا من طينٍ عفنٍ ، ونفاياتٍ وحفنًا من تراب .

فما أروع الطين حين يلتقي بالنور ويجسد معانيه في الخير والحق والجمال ، وما أروع النور وهو يتبدى ويتجسد من خلال المادة والطين ، فينتصر الحق ويسود ، ويتبدى الجمال ويتألق ، ويتجسد النور ويشعشع ، ويسمو بذلك ما بين جوانح الإنسان من الحيوان ، ويزكو ما يغلف روحه من الطين .

وما أوتيتم من العلم إلا قليلًا

أما ما السر الأعظم والدلالة الأبعد لهذا اللقاء بين الروح والمادة ؟ وما الغاية من ذلك ؟ وما الدلالة الأسمى لما يدور بينهما في كيان الإنسان وفي إرادته من صراع ؟ وما الذي ينتج – على وجه الحقيقة – عن ذلك التمثل والتجسد الذي تكدح فيه الأرواح إلى بارئها وتُعَبِّدُ بهما – قدر طاقاتها – ذواتها وتنتصر وتهذب نزواتِها وشهواتِها الحيوانية الطينية ؟ ولاشكَّ أن ذلك كله – فيما يبدو لنا في حدود سقفنا المعرفي – هو من

﴿ فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ [ق: ٢٢] .

ليست هذه التأملات في معاني الخلق وغاياته وغايات علاقاته – فيما أرى – عبثٌ من باب فلسفة الإلهيات التي تخوض بالظنون في عالم ما وراء المادة دون مرشد ولا دليل غير دليل استكبار العقل وعدم معرفة حدوده ، وهو ما عانت وما تزال تعاني حتى اليوم منه الأمةُ في بعض متاهاتها الكلامية ، وهو أيضًا ما عانت وماتزال تعاني الإنسانية منه كذلك في بعض فلسفاتها الإلهية ، ولعل ذلك ما عناه الإمام أبوحامد الغزالي في « تهافت الفلاسفة » ، وما نلمسه في ضلال الضالين وإلحاد الملحدين ومكابرة الجاهلين .

فالتأمل المنضبط بإدراك حدود العقل ومنطق الإنسان هو في تصوري من باب جدية التدين ، ومن سُبُل ترسيخ الإيمان ، ولعل ذلك ما قصد إليه الإمام ابن رشد في (تهافت التهافت) ، من ضرورة سعي العقل بالتفكر والتأمل ، لترسيخ الإيمان ، وفهم الرسالة ، وتوسيع آفاق العلم والمعرفة وتعميقها .

﴿ فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ [ق: ٢٢] .

ليست هذه التأملات في معاني الخلق وغاياته وغايات علاقاته – فيما أرى – عبثٌ من باب فلسفة الإلهيات التي تخوض بالظنون في عالم ما وراء المادة دون مرشد ولا دليل غير دليل استكبار العقل وعدم معرفة حدوده ، وهو ما عانت وما تزال تعاني حتى اليوم منه الأمةُ في بعض متاهاتها الكلامية ، وهو أيضًا ما عانت وماتزال تعاني الإنسانية منه كذلك في بعض فلسفاتها الإلهية ، ولعل ذلك ما عناه الإمام أبوحامد الغزالي في « تهافت الفلاسفة » ، وما نلمسه في ضلال الضالين وإلحاد الملحدين ومكابرة الجاهلين .

فالتأمل المنضبط بإدراك حدود العقل ومنطق الإنسان هو في تصوري من باب جدية التدين ، ومن سُبُل ترسيخ الإيمان ، ولعل ذلك ما قصد إليه الإمام ابن رشد في (تهافت التهافت) ، من ضرورة سعي العقل بالتفكر والتأمل ، لترسيخ الإيمان ، وفهم الرسالة ، وتوسيع آفاق العلم والمعرفة وتعميقها .

ووجهته وغاياته وسياساته وتصرفاته المعاصرة ، التي تنبني على شريعة الغاب الحيوانية القائمة في وجوهها وجملتها مع الآخر في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ، وفي العالم الإسلامي بخاصة ، على أساس شريعة الغاب من التمايز والعنصرية والعرقية ، والتي تجعل الحق للقوة ، والانصياع لأهواء الطين ونزواته وشهواته ، وتجعل الحقيقة قضية ذاتية لا أصل لها في الحقيقة والوجود ، بل تقررها الأطماع والأهواء والنزوات والشهوات ، وتعتمد في بلوغ غاياتها ومصالحها تجاه الآخر ما أمكن على التظالم والعدوان ، والتي قد يخفف منها أحيانًا ما في أشواق الروح الإنسانية من فطرة معاني الحق والعدل والرحمة ، ولكن الشر كل الشر ، والبلاء كل البلاء حين يلتقي الشيطان والحيوان ، وتخمد كل آثار روح فطرة الإنسان ، والذي نشاهده صورة وحشية معاصرة منه في ممارسات الصهيونية ضد الشعب الفلسطيني ، فيكون الشر والظلم والقسوة والتدمير في أبشع وأنذل صوره وهو مايقضي على كل معاني النور والروح في الخير والعدل والرحمة في حياة

ووجهته وغاياته وسياساته وتصرفاته المعاصرة ، التي تنبني على شريعة الغاب الحيوانية القائمة في وجوهها وجملتها مع الآخر في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ، وفي العالم الإسلامي بخاصة ، على أساس شريعة الغاب من التمايز والعنصرية والعرقية ، والتي تجعل الحق للقوة ، والانصياع لأهواء الطين ونزواته وشهواته ، وتجعل الحقيقة قضية ذاتية لا أصل لها في الحقيقة والوجود ، بل تقررها الأطماع والأهواء والنزوات والشهوات ، وتعتمد في بلوغ غاياتها ومصالحها تجاه الآخر ما أمكن على التظالم والعدوان ، والتي قد يخفف منها أحيانًا ما في أشواق الروح الإنسانية من فطرة معاني الحق والعدل والرحمة ، ولكن الشر كل الشر ، والبلاء كل البلاء حين يلتقي الشيطان والحيوان ، وتخمد كل آثار روح فطرة الإنسان ، والذي نشاهده صورة وحشية معاصرة منه في ممارسات الصهيونية ضد الشعب الفلسطيني ، فيكون الشر والظلم والقسوة والتدمير في أبشع وأنذل صوره وهو مايقضي على كل معاني النور والروح في الخير والعدل والرحمة في حياة

الناجمة عن سيادة شريعة الغاب ، لتسود شريعة النور ، وتسود قيم العدل والوئام والأمن والسلام بين جميع بني البشر .

وباللَّه التوفيق والهداية ، وهو نعم المولى ونعم النصير

الناجمة عن سيادة شريعة الغاب ، لتسود شريعة النور ، وتسود قيم العدل والوئام والأمن والسلام بين جميع بني البشر .

وباللَّه التوفيق والهداية ، وهو نعم المولى ونعم النصير

وضوح الرؤية جادة الطريق وطوق النجاة ٧٣
مفتاح التعامل مع الآخر : المعرفة المنهجية
ومراكز وأقسام دراسة الغرب ٨٦
عَوْدٌ على بدء : نور الإيمان ونهج الشورى وقوة الإخاء ٩٣
ليس لكل سؤال جواب ٩٤
معنى الحياة الإنسانية الدنيوية : تجسيد قيم النور
وتسامي مادية الطين ٩٥
وما أوتيتم من العلم إلا قليلًا ٩٨
وبعد : فإن للأمة دورًا ١٠٣
الفهرست ١٠٥

رقم الإيداع
2003/5113
الترقيم الدولي I.S.B.N
977 - 342 - 095 - 7

وضوح الرؤية جادة الطريق وطوق النجاة ٧٣
مفتاح التعامل مع الآخر : المعرفة المنهجية
ومراكز وأقسام دراسة الغرب ٨٦
عَوْدٌ على بدء : نور الإيمان ونهج الشورى وقوة الإخاء ٩٣
ليس لكل سؤال جواب ٩٤
معنى الحياة الإنسانية الدنيوية : تجسيد قيم النور
وتسامي مادية الطين ٩٥
وما أوتيتم من العلم إلا قليلًا ٩٨
وبعد : فإن للأمة دورًا ١٠٣
الفهرست ١٠٥

رقم الإيداع
2003/5113
الترقيم الدولي I.S.B.N
977 - 342 - 095 - 7

• عمل أمينًا لاجتماعات المجلس الأعلى للتخطيط ، ثم عضوًا في هيئة التدريس بكلية العلوم الإدارية (كلية التجارة سابقًا) في جامعة الملك سعود بالرياض (جامعة الرياض سابقًا) ورئيسًا لقسم العلوم السياسية فيها ١٣٨٣هـ - ١٤٠٦هـ - ١٩٦٤م - ١٩٨٦م .

• من مؤسسي اتحاد الطلبة المسلمين بالولايات المتحدة وكندا والاتحاد الإسلامي للمنظمات الطلابية ، وجمعية علماء الاجتماعات المسلمين بالولايات المتحدة وكندا ، والندوة العالمية للشباب الإسلامي بالمملكة العربية السعودية ، والمعهد العالمي للفكر الإسلامي بالولايات المتحدة الأمريكية .

• الأمين العام المؤسس للأمانة العامة للندوة العالمية للشباب الإسلامي بالرياض ، الرئيس الأول للمعهد العالمي للفكر الإسلامي ، والمدير العام السابق للمعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ورئيس المجلس الاستشاري لمدارس منارات الرياض حتى عام ١٩٧٤م ، والرئيس المؤسس لمؤسسة تنمية الطفل ، والمؤسس والرئيس السابق لجمعية علماء الاجتماعيات المسلمين

• عمل أمينًا لاجتماعات المجلس الأعلى للتخطيط ، ثم عضوًا في هيئة التدريس بكلية العلوم الإدارية (كلية التجارة سابقًا) في جامعة الملك سعود بالرياض (جامعة الرياض سابقًا) ورئيسًا لقسم العلوم السياسية فيها ١٣٨٣هـ - ١٤٠٦هـ - ١٩٦٤م - ١٩٨٦م .

• من مؤسسي اتحاد الطلبة المسلمين بالولايات المتحدة وكندا والاتحاد الإسلامي للمنظمات الطلابية ، وجمعية علماء الاجتماعات المسلمين بالولايات المتحدة وكندا ، والندوة العالمية للشباب الإسلامي بالمملكة العربية السعودية ، والمعهد العالمي للفكر الإسلامي بالولايات المتحدة الأمريكية .

• الأمين العام المؤسس للأمانة العامة للندوة العالمية للشباب الإسلامي بالرياض ، الرئيس الأول للمعهد العالمي للفكر الإسلامي ، والمدير العام السابق للمعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ورئيس المجلس الاستشاري لمدارس منارات الرياض حتى عام ١٩٧٤م ، والرئيس المؤسس لمؤسسة تنمية الطفل ، والمؤسس والرئيس السابق لجمعية علماء الاجتماعيات المسلمين

هذا الكتـــــاب

يستمد هذا الكتاب أهميته – على الرغم من صغر حجمه ، ولعل ذلك من محاسنه – من أنه تلتقي فيه وتمتزج المعارف الدينية والفلسفية والإنسانية الاجتماعية ، في محاولة استلهامِ الرؤية القرآنية للغوص في لبِّ وجود الأمة ، وتصحيح مسارها ، وتجديد طاقتها .

ويستلهم هذا الكتاب – بعمق فلسفي – الرؤية القرآنية الكونية في طبيعة الكون والإنسان والغاية من وجود الإنسان ومنهج الشرعة التي تهدي حياته بالحق والعدل والخير .

والرؤية القرآنية الكونية هي القاعدة الأساس لفكر الإنسان المسلم ورؤيته الحياتية ، حتى يستطيع أن يحدد غاية وجوده ، ويعيد – في هذا العصر – بناء كيان أمته الذي تهدم ، وحتى يصحح مسيرة حضارته ، بفاعلية وتصميم ، وبأقصى الطاقة من القدرة والعزم .

ومن خلال فهم الذات يقدم هذا الكتاب فهم الآخر

هذا الكتـــــاب

يستمد هذا الكتاب أهميته – على الرغم من صغر حجمه ، ولعل ذلك من محاسنه – من أنه تلتقي فيه وتمتزج المعارف الدينية والفلسفية والإنسانية الاجتماعية ، في محاولة استلهامِ الرؤية القرآنية للغوص في لبِّ وجود الأمة ، وتصحيح مسارها ، وتجديد طاقتها .

ويستلهم هذا الكتاب – بعمق فلسفي – الرؤية القرآنية الكونية في طبيعة الكون والإنسان والغاية من وجود الإنسان ومنهج الشرعة التي تهدي حياته بالحق والعدل والخير .

والرؤية القرآنية الكونية هي القاعدة الأساس لفكر الإنسان المسلم ورؤيته الحياتية ، حتى يستطيع أن يحدد غاية وجوده ، ويعيد – في هذا العصر – بناء كيان أمته الذي تهدم ، وحتى يصحح مسيرة حضارته ، بفاعلية وتصميم ، وبأقصى الطاقة من القدرة والعزم .

ومن خلال فهم الذات يقدم هذا الكتاب فهم الآخر